روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

107

لعنة الدم

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل . د. نبيل فاروق

١ ـ صرخـــة ..

الفضاء ..

ذلك الصامت السرمدى المهيب ، الذى تسبح فيه الكواكب والنجوم والمجرات ..

ذلك المظلم دوماً ، الغامض أبداً ، الذى يخيّل للناظر إليه أنه جامد ثابت ، لا يتغيّر قط ، على الرغم من كل ما يخفيه فى أعماقه من حياة ، ونشاط ، وتوازن مذهل ، لا يقدر على تنظيمه وإبداعه سوى الخالق عزّ وجلّ ..

الفضاء الذى لا يمكننا ، مهما امتدّ بنا البصر ، إلا أن نرى وندرك شريحة محدودة للغاية منه ..

شريحة أشبه بنقطة فى محيط هائل ، بلا شواطئ أو حدود ..

وفى تلك النقطة ، راح جسد (نور) يسبح حرًا ، داخل زى فضائى حديث ، دون أجهزة بحث أو توجيه ..

وفى أعماقه ، كان يشعر بخوف عجيب مبهم ، لم يجد له أى تفسير ..

بل ولم يكن يدرى حتى من أين أتى ، ولا كيف وجد نفسه بغتة ، فى هذا الموقف العجيب ..

تُرى هل دفعه شخص ما ، أو شىء ما .. إلى الفضاء ؟! ..

أم أنه هنا بإرادته ؟! ..

ولكن لماذا ؟! ..

وكيف ؟! ..

كيف لا يذكر شيئاً عن سبب وجوده ؟! ..

كيف يجهل ماذا أصابه ؟ ..

هل فقد ذاكرته لسبب ما ؟! ..

أم أنه ..

قبل أن يتمّ تساؤله الأخير ، لمح ذلك الشخص ، الذى يتجه نحوه ، فى زى فضائى مماثل ، لا يختلف عن زيه إلا فى أنه يحوى أجهزة توجيه ، تتيح له اختيار مساره بالتحديد ..

وفى مزيج من التوتر والترقّب ، راح (نور) يتابع ذلك الشخص ، وهو يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم فجأة ، أصبحت ملامحه واضحة ..

وانتفض جسد (نور) فى عنف ، وكاد يصرخ باسم ذلك الشخص ، الذى أشار له بيده ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة كبيرة ..

ولكن شيئاً لم يخرج من بين شفتى (نور) ..

صرخته احتبست فى حلقه ، ورفضت أن تتجاوز شفتيه ، وهو يحدّق فى ذلك الوجه ، الذى يطلّ عليه بابتسامته ، من خلف زجاج خوذة الزى الفضائى ..

وفى هدوء ، وبصوت بالغ العمق ، قال ذلك الشخص :

- لا تتوتّر أو تضطرب يا (نور) .. عيناك لم تخدعاك .. إنه أنا .

تمتم (نور) فى صعوبة :

- (محمود) ؟! .. ولكن هذا مستحيل ! .. لقد لقيت مصرعك أمام أعيننا جميعاً ، فى نهر الزمن(*) !

هزّ (محمود) رأسه نفياً فى بطء ، وهو يقول :

- خطأ يا (نور) .. لم ألق مصرعى كما تصوّرتم .. كل ما حدث هو أن الصدمة أصابتنى بفقدان عميق للوعى ،

(*) راجع قصة (الزمن - صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

وابتلعنى نهر الزمن ، وكدت أضيع فيه إلى الأبد ، لولا أن لحق بى (س ـ ١٨)(*) ، وأعادنى إلى زمننا .

كاد (نور) يصرخ من فرط السعادة ، إلا أنه ، وللمرة الثانية ، رفضت الصرخة أن تنطلق من بين شفتيه ، وشعر بها تختنق فى حلقه ، فسعل مرتين ، قبل أن يغمغم فى ضعف :

ـ إذن فقد فعلها (س ـ ١٨) .. يا له من مقاتل آلىّ فذّ !

اقترب منه (محمود) فى بطء ، وهو يقول :

ـ لم يكتف بإعادتى فحسب يا (نور) .. لقد أدّى عملاً عظيماً أيضاً .

لم ترق لهجته لـ (نور) هذه المرة ، فسأله فى حذر :

ـ أى عمل هذا ؟

تبدّل صوت (محمود) بغتة ، وتحوّل إلى خوار خشن غليظ مخيف ، وهو يجيب :

ـ قادنى إليك .

ومع آخر حروف كلماته ، اختفت ملامحه دفعة

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧)

واحدة ، وحلّت محلّها ، ملامح أخرى ..

ملامح بشعة رهيبة ، غير آدمية ..

نفس ملامح ذلك المخلوق المخيف ، الذى دمّر المستعمرة المريخية ، وقضى على معظم من فيها(*) ..

وفى دهشة ، هتف (نور) :

ـ رباه ! .. إذن فهو أنت .

أجاب ذلك الكائن الرهيب بصوته المخيف :

ـ نعم .. هو أنا .

قالها ، ويده تنقضّ بغتة على خزان الأكسجين المضغوط المعلّق على ظهر (نور) والذى يمده بالهواء اللازم لحياته ، وتنتزعه من مكانه ..

واختنق (نور) ..

فقد مصدر الهواء ، وجحظت عيناه فى ألم ، وضاق صدره ، حتى كاد ينطبق بعضه على البعض ، وذلك الكائن يبتعد ، ويبتعد ، وهو يطلق ضحكات مجلجلة ، بلغت مسامع (نور) ، على الرغم من الفراغ المحيط به(**) ..

(*) راجع قصة (بلا أثر) .. المغامرة رقم (١٠٦) .

(**) الصوت لا ينتقل أبداً فى الفراغ ..

وراح (نور) يختنق ، ويختنق ..
والصرخة الحبيسة فى صدره تجاهد ، وتقاتل لتنطلق ، و ..
وفجأة ، تحرَّرت صرخته ..
وانطلقت ..
ومع انطلاقها ، انتفض جسده فى عنف ، وهبَّ جالساً على فراشه ، وهو يلهث فى شدة ، فهبَّت زوجته (سلوى) من نومها بدورها ، وهتفت به منزعجة :
- ماذا حدث يا (نور) ؟
تطلَّع إليها بشىء من الدهشة ، وهو يواصل لهاثه ، قبل أن يلوِّح بيده ، ويهزّ رأسه ، قائلاً :
- إنه ذلك الكابوس .. لقد عاودنى للمرة الثانية .
قالت فى قلق :
- حقًّا ؟! .. بنفس التفاصيل .
أومأ برأسه إيجاباً ، والتقط نفساً عميقاً ، ليسيطر على مشاعره ، قبل أن يقول :
- نعم .. الفضاء الممتدّ إلى ما لا نهاية ، و(محمود) ، ثم ذلك الوحش .
مالت نحوه ، وأحاطته بذراعيها فى حنان ، وهى تغمغم :

- من الواضح أن مواجهتك لذلك الوحش ، على سطح المريخ ، قد تركت فى نفسك اثراً عنيفاً .
صمت لحظة ، قبل أن يغمغم :
- ربما ، ولكننى لست من النوع الذى تهاجمه الكوابيس فى المعتاد .
قالت مشفقة :
- أنت مجرَّد بشر يا (نور) .
أومأ برأسه إيجاباً ، وهو يقول :
- بالتأكيد ، ولكن لكل بشرى سماته ..
هزَّت كتفيها ، قائلة :
- هذا أمر طبيعى ، ولكن الأمر لم يكن هيناً أبداً ، فذلك الكائن قضى على عدد من خيرة شبابنا ، وحطَّم المستعمرة المريخية كلها ، بل وكاد يفتك بابنتنا (نشوى) أيضاً ، لولا وصولك فى الوقت المناسب(*) ، هل تعتقد أنه من السهل أن يتجاوز أى بشرى مثل هذا الموقف ؟!
أجاب فى حزم :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع قصة (بلا أثر) .. المغامرة رقم (١٠٦)

- لقد مررنا بمواقف أكثر صعوبة ، ولم يحدث لى هذا بعدها .

ابتسمت فى حنان ، قائلة :

- يمكننى أن أتقمص شخصية (رمزى) ، وأمنحك تحليلاً نفسياً للموقف ، إننا لم ننته من الأمر تماماً بعد ، فمازلنا داخل مكوك الفضاء السياحى ، الذى ينطلق عائداً بنا إلى الأرض ، وهذا يمنحك شعوراً بالقلق وعدم الأمان ، ثم إننا نجتمع جميعاً للمرة الأولى ، منذ رحل (رمزى) و(نشوى) إلى المريخ ، وانفرط عقد الفريق ، وكوّنت أنت فريقاً جديداً مع (أكرم)(*) ، واجتماعنا هذا أعاد إليك ذكرى (محمود) المسكين ، واشتعلت فى عقلك الباطن رغبتك الدفينة ، وأملك فى أن يكون على قيد الحياة ، وفى أن ينجح (س - ١٨) فى إعادته إلينا ، وتجمّع كل هذا على هيئة كابوس .

صمت لحظة ، وكأنما يحاول استيعاب منطقها ، ثم سألها فى اهتمام :

- ولكن لماذا يتحوّل (محمود) فى الكابوس إلى ذلك الكائن البشع ؟!

(*) راجع قصة (الحرباء) .. المغامرة رقم (١٠١)

بدت عليها الدهشة ، وكأنما لم تتوقع السؤال ، وغمغمت حائرة :

- لست أدرى .. ربما ..

لم تكن قد عثرت على جواب منطقى بعد ، عندما انطلقت بغتة صرخة قوية ..

صرخة انتفض لها جسدا (نور) و(سلوى) فى عنف شديد ، عندما ميَّزا فيها صوتاً انخلع له قلباهما ..

صوت ابنتهما الوحيدة ..

(نشوى) ..

* * *

« (نشوى) تلد .. » .

هتف (رمزى) بالعبارة فى توتر شديد ، وهو يعدو عبر ممرات المكوك الفضائى ، فلحق به (نور) فى توتر ، وسأله :

- أأنت واثق من هذا ؟

التفت إليه (رمزى) ، صائحاً فى عصبية :

- أنسيت أننى طبيب ؟

تضاعف توتر (نور) وهو يتلفت حوله فى انزعاج ، وسأل قبطان المكوك ، الذى لحق بهما :

- هل تعتقد أن طبيب المكوك مؤهَّل للقيام بعملية توليد ؟!

بدا التردُّد على وجه القبطان ، وهو يجيب :

- لست أدرى .. المفترض قانوناً ألا يتم السماح للحوامل بالقيام برحلات فضائية سياحية ، ووجود ابنتك هنا أمر استثنائى ، حتمته الطوارئ ، و ...

صاح به (نور) مقاطعًا :

- هل يمكنه القيام بهذا أم لا ؟

أتاه الجواب من خلفه رصيناً حاسماً ، يقول :

- اطمئن .. يمكنه هذا .

التفت (نور) فى سرعة إلى الطبيب ، وهمّ بقول شىء ما ، إلا أن الرجل أشار إليه فى صرامة أن يصمت ، والتفت الى معرضته ، مكملاً فى حزم :

- أعدّى حجرة عمليات الطوارئ ، فيبدو أن مكوكنا سيشهد ذلك الحدث التاريخى ، ألا وهو مولد أوّل طفل بشرى ، خارج كوكب الأرض .

ثم استدار إلى (نور) ، ومنحه ابتسامة مشجِّعة ، مستطرداً .

- اطمئن .

وعلى الرغم من الثقة الواضحة ، التى تحدّث بها الطبيب ، والتى بدت أكثر وضوحاً فى أسلوب معرضته فى طاعة أوامره دون مناقشة ، إلا أن (نور) لم يشعر بالاطمئنان أو الارتياح أبداً ..

شىء ما فى أعماقه ، كان يشعر أن المولود الذى ستنجبه ابنته ، لن يحمل معه الاطمئنان ..

لن يحمله أبداً ..

★ ★ ★

نصف الصرخات ، التى أطلقتها (نشوى) ، فى حجرة عمليات الطوارئ بالمكوك ، وهى تضع طفلها ، لم تكن ترتبط ، بأى حال من الأحوال ، بآلام الوضع الطبيعية .

بل كانت صرخات من نوع آخر ..

صرخات تحمل كل ما تموج به نفسها من خوف ورعب وفزع ..

ففى كل لحظة ، منذ هاجمتها آلام الوضع ، كان عقلها يستعيد ذلك المشهد الرهيب ، الذى جمع بينها وبين الكائن البشع ، فى المستعمرة المريخية ..

وخُيِّل إليها أنها تحياه ثانية ..

الكائن المدرَّع يقترب منها ، ويلمس بطنها بقفازه ، الذى يضىء بلون فستقى باهت ، ثم يتراجع ، ويرفع يده نحوها ، لتنطلق من أصابعه أشعة برتقالية ، تحيط بجسدها كله ، ثم تنكمش ، وتتركَّز على منطقة حملها وحدها .

ودون أن تدرى ، وجدت جسدها يستعيد الارتجافة نفسها ، وهى تهتف :

- اترك طفلى .. اترك طفلى .

لم يدرك الطبيب أو ممرضته ما يحدث لها ، وتصوَّرا أنها نوبة من آلام الوضع التقليدية ، فقالت الممرضة فى تعاطف :

- إنه يخرج إلى العالم .. ساعديه قليلاً .

انحدرت الدموع الساخنة من عينى (نشوى) ، لتغرق وجهها كله ، وذهنها يسترجع مشهد تلك النقاط البيضاء والحمراء ، التى تسبح فى الأشعة البرتقالية ، وتغوص فى جسدها ، ليتشكَّل معها ظل واضح لجنينها ..

ثم انطلقت منها بغتة صرخة عنيفة ..

صرخة انخلع لها قلب (رمزى) ، خارج حجرة عمليات الطوارئ ، وهتفت معها (سلوى) فى ارتياع :

- ابنتى .. ماذا يفعلون بابنتى ؟

لم تكد تتم هتافها ، حتى صكَّت مسامعها صرخة أخرى متصلة ، حملت معها جواب السؤال ..

صرخة ذلك القادم الجديد ..

ابن (نشوى) و(رمزى) ..

وبكل الانفعال المختزن فى أعماقها ، انفجرت (سلوى) باكية ، وألقت نفسها بين ذراعى (نور) ، وراحت تسكب دموعها وانفعالاتها على صدره ، فربَّت عليها فى حنان ، وهو يقول مداعباً :

- ادموع الفرح هذه ، أم أنها دموع الأسى ، لأنك صرت أوَّل جدة ، لم تتجاوز الثلاثين من عمرها بعد ؟!(*)

هتف (رمزى) فى مرح ، يشقّ عن سعادته الغامرة :

- أو هى دموعهما معاً .

قالها ، وأطلق ضحكة عالية ، اختنقت نهايتها بغتة فى حلقه ، عندما وقع بصره على وجه الطبيب الممتقع ، وهو يغادر حجرة عمليات الطوارئ ، ويتطلَّع إليهم بعينين زائغتين ، فهتفت (سلوى) مذعورة :

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

- هل أصاب ابنتى مكروه ؟

هزَّ الطبيب رأسه نفياً فى شحوب ، وهو يقول :

- ابنتكِ على خير ما يرام يا سيِّدتى ، ولكنها مرهقة فحسب ، بعد أن وضعت جنينها ، ولكن ..

هتف به (رمزى) فى عصبية :

- ولكن ماذا ؟

تردَّد الطبيب لحظة ، قبل أن يجيب :

- من الأفضل أن تروا بأنفسكم .

قال عبارته ، وأفسح لهم الطريق ، وكأنما يدعوهم لدخول حجرة عمليات الطوارئ ، فاندفعت (سلوى) إليها ، ولم تكد تدخلها ، حتى انطلقت من حلقها شهقة عنيفة ، جعلت (نور) يثب للحاق بها ..

وداخل الحجرة ، انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدِّق فى طفل (نشوى) ..

فقد كان ما يراه أمامه مذهلاً ..

ومخيفًا ..

★ ★ ★

٢ - الـدم ..

فتحت (نشوى) عينيها فى صعوبة ، من فرط التعب والإجهاد ، وتطلَّعت لحظة إلى حجرتها ، التى تم إعادتها إليها ، ثم غمغمت فى تهالك :

- أريد أن أشرب .. حلقى جاف للغاية .

انتزع (رمزى) وجهه من بين كفيه ، والتفت إليها فى لهفة ، ثم هبَّ من مقعده ، يلتقط قدح ماء ، وعاونها على النهوض قليلاً ، لتشرب الماء ، ثم أعادها إلى الفراش ، هامساً :

- حمداً لله على سلامتك ياحبيبتى .

ألقت نظرة على جانب فراشها ، قبل أن تسأله متوترة :

- أين طفلتى ؟

تردَّد لحظة ، ثم ربَّت عليها فى حنان ، وهو يجيب :

لا تقلقى بالك بشأن الطفل .. إنهم يحتفظون به فى جو نقى فحسب لبعض الوقت .

قالت مندهشة :

ـ الطفل ؟! .. المفترض أننى سأنجب طفلة يا (رمزى) .. كل الفحوص الطبية السابقة أكدت هذا !

حاول أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ ما من فحص طبى ، مهما بلغت دقته ، يمكنه أن يمنحنا نتائج مؤكدة ، مائة فى المائة ، والله (سبحان وتعالى) وحده ، يعلم ما فى الأرحام .

أقلقها أسلوبه ، وأزعجتها اللهجة التى تحدث بها ، فاعتدلت فى صعوبة ، وتطلعت إلى عينيه مباشرة ، وهى تسأله :

ـ ماذا حدث يا (رمزى) ؟ .. ما الذى تخفيه عنى بالضبط ؟

بذل قصارى جهده ، للسيطرة على ملامحه وصوته ، وهو يجيب :

ـ لا شىء يا حبيبتى .. لا شىء .

ولكن صوته لم يكد يتجاوز شفتيه ، حتى أدرك هو ، قبل أن تدرك هى ، أنه سيعجز حتمًا عن إقناع طفل صغير ساذج ..

لقد خرج الصوت مرتبكًا ، مضطربًا ، يحمل من الحزن والمرارة قدراً هائلاً ، لا يحتاج إلى استنباط أو

تفكير ، فهتفت مذعورة :

ـ هل .. هل مات ؟!

هتف بسرعة :

ـ كلاً .. لم يمت .. أقسم لك .

سألته ، وقد تملكها الفزع والخوف :

ـ ماذا أصابه إذن ؟ .. ماذا اصاب ابننا يا (رمزى) .

أطلق من أعماق صدره زفرة حارة ، وهو ينهض من مقعده ، ويشيح بوجهه عنها ، قبل أن يجيب فى حزن مرير :

ـ ابننا لم يولد طبيعيًا يا (نشوى) .

انطلقت من حلقها شهقة عنيفة ، وانقبض قلبها فى قوة ، واعتصرت قبضة باردة مشاعرها فى قسوة ، وهى تردد :

ـ لم يولد طبيعيًا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنه لا يعانى من أية عيوب خلقية مألوفة ، ولكن ..

قاطعته بصوت مرتجف ، وعقلها يستعيد ذكرياتها المخيفة :

- ولكنه وجهه .. أليس كذلك ؟ .. وجهه نسخة طبق الأصل من وجه ذلك الكائن الوحشى ، الذى واجهناه فى المريخ .

تطلّع إليها فى دهشة ، هاتفاً :

- وجهه ؟! .. من وضع هذه الفكرة العجيبة فى رأسك .. ولدنا له وجه عادى ، بل وهو يشبهك ، إلى حد ما .

سألته فى دهشة تفيض بالقلق :

- ما الأمر غير الطبيعى فيه إذن ؟

صمت لحظة ، وهو يتطلّع إليها مشفقًا مترددًا ، ولكن يبدو أنه قد حسم أمره بغتة ، إذ اندفع يجيب بلا مقدمات :

- لونه .

وكان الجواب مباغتاً بحق ..

★ ★ ★

« أخضر ؟! .. » .

هتفت (مشيرة) بالكلمة فى دهشة بالغة ، وهى تحدّق فى وجه زوجها (أكرم) ، الذى هزّ رأسه فى بطء ، وتنهّد قبل أن يقول :

- نعم .. الطفل أخضر اللون تماماً ، كما لو أنه نبات بشرى .. أنا لم أره بنفسى ، فقد قرّر الطبيب عزله فور ولادته ، ولكن (نور) هو الذى وصف لى لونه .

تراجعت فى دهشة ، وهزّت رأسها ، قائلة :

- مسكينة (نشوى) .. إنها لم تعش حياة عادية قط ، منذ أصابها ذلك النمو المفاجئ(*) .

أجابها (أكرم) ، وهو يلتقط مسدسه التقليدى ، من سترته المعلّقة على مشجب قريب :

- الطبيب لا يجد تفسيرًا علميًا لهذا ، وهو يقول : إن بعض الأطفال يولدون بلون أصفر مائل للخضرة ، إذا ما أصابهم مرض الصفراء الجنينى(**) ، إلا أنه لم ير ذلك اللون الأخضر الداكن فى حياته من قبل قط ، ثم إن اللون لا يقتصر على الطفل فحسب ، ولكنه يمتد أيضًا إلى الحبل السرى والمشيمة ، ولقد نقلهما الطبيب إلى معمل المكوك ، فى محاولة لتحليلهما ، وفحص الدم الموجود داخلهما .

(*) راجع قصة (المحيط الملتهب) .. المغامرة رقم (٦٣) .

(**) حقيقة طبية .

سألته (مشيرة) فى اهتمام :

- وماذا عن (نور) ؟!.. ألم يتوصل إلى تفسير ما ؟

أجاب فى سرعة :

- (نور) ليس طبيبًا .

ثم صمت لحظة ، واستدرك فى حسم :

- ولكننى أراهن على أن نفس ما يقلقنى يدور فى رأسه .

سألته بلهفة وفضول :

- وما هو ؟

صمت لحظة أخرى ، وكأنما يستجمع أفكاره ، ثم أجاب فى حزم :

- ذلك الكائن المريخى .. دماؤه كانت خضراء فسفورية ، ولقد هاجم (نشوى) وحدها ، و ...

قاطعته فى عصبية :

- ما الذى تعنيه بهذا ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- ربما أثر على تكوين جنينها بشكل ما .

قالت فى حدة :

- ولماذا لا يكون العيش على المريخ هو المسئول عن هذا ؟! .. لقد قضت معظم فترة حملها هناك .

انتزع الخزانة الفارغة من المسدس ، وراح يحشوها برصاصات تقليدية ، وهو يهزّ كتفيه ، قائلا :

- ربما .. أنت تعلمين أننى لا أميل إلى تلك الأمور العلمية .

انعقد حاجباها فى توتر ، وهى تراقب ما يفعله بالمسدس ، ثم سألته فى عصبية :

- لماذا تحشو مسدسك بالرصاصات ؟

أعاد الخزانة إلى موضعها، وجذب مشط المسدس ، وتركه يرتد فى قوة ، وهو يجيبها :

- إننى أفضّل وجوده فى متناول يدى ، ومستعدًا للعمل على الفور ، عندما تحيط بى أمور غير طبيعية .

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهى تقول فى حدة :

- يا للسخافة ! .. أحيانا أشعر بالندم ، لأننى تزوّجت همجيًا مثلك .

ابتسم ، قائلاً :

- هذا يحدث أحيانا ، أما فى المعتاد ، فأنت تشعرين بأنك محظوظة بزواجك منى يا أميرتى .

لم تضحك لدعابته هذه المرة ، وإنما قالت فى حنق :

- من الواضح أن طبيعتك البرية ، وولعك الشديد بالأسلحة النارية ، أصاباك بشىء من الهوس ، فرحت تتصوَّر أن حلول كل مشكلات الدنيا تكمن فى مسدسك .. إنه مجرَّد طفل وليد ، يعانى من خلل ما فى أحد هرموناته ، فاصطبغ جسده بلون أخضر داكن .. بم يمكن أن يفيد مسدسك فى هذا ؟

دسَّ المسدس فى حزامه ، وهو يهزّ كتفيه فى هدوء ، مجيبًا :

- من يدرى ؟

مطَّت شفتيها فى غضب ، وأحنقها أنه لا يبالى باعتراضاتها ، ولكنها ، وعلى الرغم من هذا ، وجدت نفسها تردِّد فى أعماقها التساؤل نفسه ..

نعم .. ولِمَ لا ؟! ..

* * *

مدَّ طبيب المكوك الفضائى مشرطه الجراحى نحو المشيمة الخضراء فى حذر ، وقطع جزءًا منها بطرفه الحاد فى حرص ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع

إلى المادة الفسفورية الخضراء اللزجة ، التى سالت منها ، وهتفت ممرضته فى دهشة :

- رباه ! .. ما هذا الشىء ؟ .. أى شيطان أنجبته تلك المرأة ؟

هتف بها الطبيب فى صرامة :

- انتبهى لما تتفوَّهين به ، وضعى كمامتك الواقية على أنفك وفمك ، مثلما أفعل أنا ، فنحن لا ندرى تأثير تلك المادة بعد ، ربما كانت نتاج فيروس مجهول(*) أصيبت به فى أثناء فترة الحمل ، على كوكب المريخ .

افزعها التفسير ، فأسرعت تضع الكمامة الواقية ، قبل أن تسأله فى حذر :

- أتعتقد أنها معدية ؟

أجابها فى صرامة ، وهو يحصل على قطرة من المادة الخضراء ، فوق شريحة زجاجية صغيرة :

(*) الفيروسات - مجموعة من الكائنات الحية المعدية ، والمسببة لكثير من الأمراض فى الإنسان والحيوان والنبات ، تتميز بصغر حجمها ، بحيث لا يمكن رؤيتها إلا بالميكروسكوب الإليكترونى ، كما أنها متطفلة ، ولا تتكاثر إلا داخل خلايا حية .

ـ إننا لم نفحصها بعد .

ودفع الشريحة فى المكان المخصّص لها ، من مجهر بسيط ، وضبط عدساته فى حرص ، ليفحصها فى اهتمام ، قبل أن يهتف فى دهشة :

ـ رباه ! .. إنها أشبه بالخلايا الدموية الحمراء ، ولكنها ليست مقعرة الجانبين ، مثل الخلايا الدموية البشرية ، وإنما هى أقرب إلى الاستدارة ، مثل الخلايا الحمراء للجمال .. عجباً ! .. لم أر شيئاً كهذا فى حياتى قط .. إنها أكثر الخلايا التى رأيتها فى حياتى نشاطاً .. تتحرّك طوال الوقت ، كما لو أنها ميكروبات حية .. وذلك السائل الأخضر ، الذى تسبح فيه ، إنه يتكوّن فى معظمه من البروتين المركز ، وقليل من السكريات والنشويات وهناك فقاعات دهنية قليلة .

ثم تراجع والدهشة تفيض من ملامحه ، وهزّ رأسه ، مغمغماً :

ـ عجباً ! .. كيف يحيا بشرى بهذا السائل ؟

أجابته الممرضة بصوت مرتجف :

ـ هذا لو أنه بشرى .

رمقها بنظرة صارمة ، قائلاً :

ـ لقد أنجبته تلك السيّدة أمامنا ، ونحن عاوناها على هذا ، أم أنك قد نسيت .

زفرت قائلة :

ـ ومن ينسى واقعة كهذه ، لقد كدت أفقد وعيى ، عندما وقع بصرى عليه .. يا للبشاعة ! .. لن يفارق المشهد ذهنى قط .

مطّ شفتيه فى ضيق ، وعاد يفحص المادة تحت المجهر ، وهو يغمغم :

ـ من الواضح أنها خلايا عجيبة ، لا مثيل لها فى كل المراجع الطبية المعروفة ، وعددها يفوق بكثير عدد كرات الدم الحمراء فى السنتيمتر الواحد من الـ ...

قاطعته فجأة شهقة عنيفة ، أطلقتها الممرضة فى ذعر ، فرفع عينيه عن المجهر ، والتفت إليها فى دهشة متوترة ، وسمعها تهتف :

ـ تلك المادة الخضراء .. انظر إليها .

اتسعت عيناه فى انزعاج ، وهو يحدّق فى المادة الخضراء ، التى تصاعدت منها أبخرة صفراء باهتة ، وهتف :

ـ ما الذى يحدث بالضبط ؟!

ومع هتافه ، تفجّر ذلك الجزء المتبخّر من المشيمة بغتة ، وتناثرت المادة الخضراء على وجه الممرضة وثيابها ، فراحت تطلق صرخات رعب هائلة ، وتراجع الطبيب كالمصعوق ، وجسده كله ينتفض فى رعب هائل ..

لقد كان ما يراه أمامه بشعًا ..

بشعًا إلى أقصى حدّ ..

★ ★ ★

لم تكد تلك الصرخات ، التى أطلقتها الممرضة ، تبلغ مسامع (أكرم) ، حتى قفز من فراشه ، وانتزع مسدسه من حزامه ، وصاح فى زوجته (مشيرة) ، وهو يندفع نحو باب حجرتها :

ـ ابقىْ هنا ، ولا تغادرى الحجرة قط ، حتى أعود إليك .

أرادت أن تعترض على هذا الأمر ، إلا أن شيئًا من الرعب المتولّد فى أعماقها جعلها تلتزم الصمت ، وتنكمش فى موضعها ، فى حين انطلق هو يعدو، عبر ممرات المكوك ، والتقى فى طريقه بـ (نـور)

و(رمزى) ، فهتف فى هذا الأخير :

ـ ابق إلى جوار زوجتك ، وسنتبيّن أنا و(نور) الأمر .

وانطلقا يعدوان جنبًا إلى جنب ، هو و(نور) ، وكل منهما يحمل مسدسه ، الذى يتناقض تمامًا مع مسدس الآخر ، حتى بلغا المعمل ، ووقع بصرهما على الطبيب ، وهو يندفع خارجه ، ويسعل فى شدة ، فى حين تتصاعد من المكان أبخرة صفراء ، فسأله (نور) :

ـ ماذا حدث ؟!

هتف الطبيب فى هلع :

ـ تلك المادة .. لن يمكنكما تصوّر ما تفعله .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يتطلّع إليه فى دهشة وتساؤل ، فى حين استدار (نور) فى سرعة ، ليلقى نظرة على المعمل ، و ...

وارتدّ فى عنف ..

فقد كان المشهد بشعًا بحق ..

الممرضة المسكينة ساقطة على ظهرها أرضًا ، وتتصاعد من وجهها أبخرة صفراء باهتة .

أو بمعنى أدقّ ، مما تبقّى من وجهها .

لقد التهمته المادة الخضراء تماماً ، حتى بدت عظام جمجمتها البيضاء على نحو مخيف ، وسط بقايا من عضلات وجلد الوجه المحترق ، وعين سليمة ، بدت وكأنها تبرز من محجرها فى الجمجمة ، لتحدّق فى وجه (نور) ..

وبكل ما يعتمل فى نفسه من انفعالات، هتف (نور) :

- ماذا حدث بالله عليك ؟

أجابه الطبيب فى انهيار :

- تلك المادة الفسفورية الخضراء .. لقد تفجّرت فى وجهها ، والتهمته فى لحظات .. إنها ليست نمًا متحوّرًا كما تصوّرت ، وإنما هى نوع من الأحماض القوية غير المعروفة(*) أو القلويات العنيفة المجهولة(**) ..

(*) الأحماض - هى المركبات التى يطلق محلولها المائى أيونات الهيدروجين وهى موصلة للتيار الكهربى وتتحلل به ، وتغير لون عباد الشمس الأزرق إلى الأحمر ، كما أنها تتفاعل مع القواعد والقلويات ، ليتكوّن ملح وماء .

(**) القلويات - أو القواعد - وهى مواد قوية ، تعادل الأحماض ، كاوية ، تذوب فى الماء ، وتستعمل فى صناعة الصابون والأنسجة والورق .



لقد التهمته المادة الخضراء تمامًا ، حتى بدت عظام جمجمتها البيضاء على نحو مخيف ..

ثم هزّ رأسه فى عنف ، وكأنما يحاول أن يطرد عنه ذلك المشهد البشع ، قبل أن يستطرد فى ألم وامتعاض :

ـ يا للمسكينة ! .. لقد صدقت عندما وصفت ذلك الطفل بالشيطان .

صاح به (نور) فى غضب :

ـ إياك أن تقول هذا .

هتف به (أكرم) :

ـ رويدك يا (نور) .. الرجل مصاب بصدمة حقيقية .

اتسعت عينا الطبيب فى رعب ، ولوّح بسبّابته تجاه المعمل ، صارخًا :

ـ لابد أن نتخلّص منها .. لابد أن ندمّر تلك المادة اللعينة .

وصل القبطان مع اثنين من رجال الأمن ، فى تلك اللحظة ، وهتف :

ـ ماذا يحدث هنا يا سادة ؟!

روى له (نور) القصة فى اختصار ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وقال :

ـ رباه ! .. الطبيب على حق .. لابد أن نتخلّص من تلك المادة على الفور .

أجاب (نور) فى توتر :

ـ لا يمكنك حرقها ، أو التخلّص منها بالوسائل العادية ، مادمنا نجهل طبيعتها ، ومدى ما يمكن أن يحدثه التعامل معها من تفاعلات .

شدّ القبطان قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ سنتخلّص منها إذن كما نفعل بالنفايات .

كانت الأبخرة الصفراء قد تلاشت تقريبًا ، بعد أن شفطتها أجهزة تنقية الهواء ، فأشار القبطان إلى رجلى الأمن ، مستطردًا :

ـ ضعا كل جزء من هذه المادة فى وعاء معزول ، من الأوعية المستخدمة فى نقل المواد المشعة ، وانقلاها إلى قسم الطرد الفضائى على الفور ، وليتم التعامل معها بنفس الخطوات المتبعة فى التعامل مع النفايات الذرية الشديدة الخطورة .

انطلق الرجلان لتنفيذ الأمر ، فى حين التفت القبطان إلى (نور) ، قائلاً :

ـ أظن هذا يحسم الأمر يا سيد (نور) .

عقد (نور) حاجبيه ، دون أن يجيب ، فى حين أعاد (أكرم) مسدسه إلى غمده ، وهو يقول فى شىء من الصرامة :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

أجابه القبطان فى حزم :

ـ نعم .. أعتقد هذا .

ولم يمض ربع الساعة على قوله هذا ، حتى كان جميعهم يقفون أمام أحد أجهزة الرصد فى المكوك ، يتابعون مشهد الأوعية ، التى تحوى تلك المادة الخضراء ، وهى تنطلق إلى الفضاء الخارجى ، فى اتجاه أبعد النجوم عن الأرض ، وقال القبطان فى صرامة ، وهو يشير إلى شاشة الرصد :

ـ أرأيتم أيها السادة ؟! .. هكذا ينتهى الأمر تماماً .

ولم يجب أحدهم بحرف واحد ، وهم يتابعون المشهد بدورهم ، وإن تولد فى أعماق (نور) و(أكرم) بالتحديد شعور قوى ، بأن ما يشاهدانه ليس النهاية ..

إنه البداية ..

بداية رعب جديد .

* * *

٣ ـ البداية ..

انسكبت دموع (نشوى) فى حرارة ، وهى ترقد على فراشها ، وراحت تنتحب ، قائلة :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم منذ البداية أن طفلى لن يأتى طبيعيًا أبدًا .. لقد ورث سوء الحظ ، الذى لازمنى طيلة عمرى .

احتضنتها أمها فى حنان محاولة تهدئتها ، وهى تقول :

ـ لا تكونى متشائمة هكذا يا (نشوى) .

هتفت (نشوى) فى مرارة :

ـ متشائمة ؟! .. ماذا أصابنى طيلة عمرى إذن ، مالم يكن سوء الحظ .. هل نسيت كيف نموت بغتة ، بسبب تجارب سادة الأعماق ، وفقدت أحلى سنوات عمرى دفعة واحدة(*) ؟ .. هل تذكرين ما أصابنى ، عندما حاولت التضحية بحياتى ، لإنقاذ كوكب الأرض(* *) ؟ هل نسيت العذاب الذى ذقته فى منطقة

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

(* *) راجع قصة (حصن الأشرار) .. المغامرة رقم (٨٢) .

العدم(*) ، أو فى صراعكم مع ابن الشيطان(* *) ؟ ..
هل تظنين بعد كل هذا أننى لست سيئة الحظ ؟!

شاركتها (سلوى) دموع مرارتها ، وهى تضمّها إليها مشفقة ، فى حين قال (نور) فى خفوت رصين :

- الإنسان لا يحصل إلا على ما قدّره له الخالق (سبحانه وتعالى) يا (نشوى) ، وهو أعلم بما يمكن أن يحمله لنا ما يصيبنا من خير .

تنهّدت فى عمق ، وتركت دموعها تنهمر أكثر وأكثر ، وهى تغمغم :

- ونعم بالله .

ربّتت (مشيرة) على كفها مهدّئة ، وهى تقول محاولة الابتسام :

- من أدراك أن ما حدث ليس فى صالح طفلك ؟

هزّت (نشوى) رأسها مغمغمة :

- كنت أتمنى له أن ينمو طفلًا عاديًا .. لم أكن أرغب

(*) راجع قصة (أرض العدم) .. المغامرة رقم (٨٣) .

(* *) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

أبدًا فى أن يتحوّل إلى كائن عجيب ، تسرى فى عروقه مادة مجهولة ، لها كل هذا التأثير البشع .

لم يعلّق أحدهم على عبارتها هذه المرة ، وإنما تبادلوا نظرة أسفة ، تشفّ عن أنهم جميعًا يشاركونها شعورها هذا ، ثم قال (أكرم) فى مرح مصطنع ، محاولًا إدارة دفة الحديث إلى اتجاه آخر :

- أخبرونى يا رفاق .. هل تنوون طردى ، وإعادة الفريق الى ما كان عليه ؛ عندما نصل إلى الأرض ؟

تبادل (رمزى) نظرة سريعة مع (نور) و(سلوى) و(نشوى) ، قبل أن يقول :

- لست أعتقد أننى مستعد للعودة إلى الفريق الآن ، ثم إننى أرى أن فريقك مع (نور) ناجح للغاية .

ابتسم (نور) ، قائلًا :

- ومتعارض للغاية .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

- هذا أمر طبيعى ، مادام السيّد (نور) مرهف الحس ، لا تطاوعه نفسه على قتل أى كائن حى ، مهما كانت الأسباب .

أجابه (نور) فى سرعة :
- وما المشكلة فى هذا ؟ .. أنت تعوّض النقص بقتل أى كائن حى ، دون الحاجة إلى أسباب .
قال (أكرم) فى حدة :
- وما الذى تريد منى أن أفعله ، عندما يهاجمنى وحش مفترس ، هل استمهله بعض الوقت ، حتى أتحرى الأسباب ، والمبررات ، ثم أعود لقتله ؟!
أجابه (نور) فى حزم :
- كلاً بالطبع ، ولكن الـ ...
« أريد أن أرى ابنى .. » .
قاطعتهما العبارة التى نطقتها (نشوى) فى حزم واضح ، فران على الحجرة صمت ثقيل ، والتفت إليها الجميع ، فكرّرت فى حزم أكثر :
- أريد رؤية ابنى .. هذا حقى .. أليس كذلك ؟
تبادلوا نظرة متوترة ، ثم ضمّها (رمزى) إلى صدره فى رفق ، قائلاً :
- بلى .. هذا أبسط حقوقك يا حبيبتى ، ولكننى كطبيب نفسى ، أعتقد أنه من الأفضل تأجيل هذا قليلاً ، حتى يـ ..

قاطعته فى عناد شديد :
- أريد رؤية ابنى يا (رمزى) .
ثم اغرورقت عيناها بالدموع بغتة ، وهى تستطرد :
- لو أنه مازال حيًا .
هتف (رمزى) :
- إنه كذلك .. أقسم لك إنه على قيد الحياة ، وإنه ..
قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت أجهزة الإنذار بغتة ، فى المكان كله ، فانتزع (أكرم) مسدسه ، هاتفًا :
- كنت أعلم أن الأمور لن تنتهى بهذه البساطة .
قالها ، ووثب خارج الحجرة ، وعبر بابها مع (نور) فى اللحظة ذاتها ، وهتفت (مشيرة) خلفهما :
- أخبرانى بما تجدانه .
ثم أردفت فى لهفة ، و(رمزى) يلحق بهما :
- (غموض فى الفضاء) ... سيكون عنوانًا شديد الإثارة لتحقيق صحفى .. أليس كذلك ؟
لم يكد قولها يغادر شفتيها ، حتى ارتطمت عيناها بتلك النظرة الغاضبة ، التى رمقتها بها (سلوى) وبالدموع الملتمعة فى عينى (نشوى) ، فاحمرّ وجهها خجلا ،

وانكمشت فى مقعدها ، متمتمة :

- إنها مجرَّد فكرة .

فى نفس اللحظة التى نطقت فيها عبارتها الأخيرة ، كان (نور) يسأل القبطان ، الذى التقى به فى منتصف السفينة .

- ماذا حدث ؟ .. لماذا أطلقتم الإنذار ؟

بدا القبطان فى حالة واضحة من التوتر والاضطراب ، وهو يجيب :

- لقد عثرنا على أحد رجال الأمن صريعًا ، فى الممر المؤدى إلى العيادة ، ولقد اختفى الطبيب تمامًا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وبدا عليه مزيد من التوتر والارتباك ، على نحو جعل (نور) يسأله فى عصبية :

- وماذا أيها القبطان ؟

بدا التردُّد على وجه القبطان لوهلة أخرى ، قبل أن يحسم أمره ، ويجيب :

- وكذلك حفيدك يا سيِّد (نور) .. لقد اختفى أيضًا ..

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مضيفًا :

- وبلا أثر ..

* * *

لثوان ، هبط على الجميع صمت مهيب رهيب ، والعيون كلها تحدِّق فى وجه القبطان ، قبل أن يقول (نور) فى حدة :

- ما الذى تعنيه بأن حفيدى قد اختفى أيها القبطان ؟! .. هل اختطفه شخص ما ؟

تردَّد القبطان مرة أخرى ، قبل أن يقول :

- صدقنى يا سيِّد (نور) ، لست أفهم كيف حدث هذا ، ولا كيف اختفى الطبيب مع حفيدك ، ولكن من الواضح أن أحدهم هاجم العيادة منذ أقل من ساعة ، وقتل حارسها ، ثم اختطف الطبيب وابنك لسبب ما ، وأخشى أن ...

بتر عبارته مرة أخرى ، فصاح (رمزى) فى حنق :

- لا داعى للتردُّد وانتقاء الكلمات يا رجل .. هات ما عندك على الفور .. الأمر لا يحتمل ذلك .

أجابه القبطان بسرعة :

- أخشى أن طاقم المكوك يعتبركم المسئولين عن هذا .

هتفوا فى دهشة :

- ماذا ؟

ثم قال (نور) فى غضب :

ـ قل لى بالله عليك : كيف يعتبروننا المسئولين عن هذا ، وحفيدى مختفٍ أيضًا بسبب مجهول ؟

أجابه بسرعة :

ـ لست أقصد عملية اختفاء حفيدك والطبيب يا سيِّد (نور) ، وإنما يتصوَّر الرجال أنكم مسئولون عن كل الاضطرابات فى المكوك ، ففارق السن الضئيل ، بينك وبين ابنتك ، وبينها وبين أمها ، وكونكما أصبحتما جدين ، فى هذا العمر ، والطفل الذى أنجبته ابنتك ، ومصرع الممرضة ، كل هذا يثير خوفهم واضطرابهم ، ولست أستبعد أن يكونوا قد حاولوا التخلُّص من الصغير ، فقاومهم الطبيب ، وقتل الحارس ، قبل أن يتخلَّصوا منه ومن الطفل .

اتسعت عينا (رمزى) فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ ابنى .

أسرع القبطان يلوِّح بيده ، قائلاً :

ـ إنه مجرَّد افتراض يا دكتور (رمزى) .. مجرَّد افتراض .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ إلى أى مدى يمكن أن يقترب هذا الافتراض من الحقيقة ؟

هزَّ القبطان رأسه ، وقال :

ـ هذا يتوقف على ما يمكن أن نخرج به ، من استجواب طاقم المكوك ورجال الأمن .

قال (نور) فى انفعال :

ـ وماذا تنتظر يا رجل ؟! .. هيا .. اجمع رجالك ، ودعنا نستجوبهم فورًا .

لم يمض ربع الساعة على قوله هذا ، حتى كان أربعة من رجال أمن السفينة وخمسة من أفراد الطاقم السبعة يقفون أمام (نور) ، فى حين بقى الاثنان الأخيران لقيادة المكوك ، وواجه القبطان الجميع ، قائلاً :

ـ أريد معرفة مكان تواجد كل منكم فى أثناء حدوث الجريمة .

ثم انتبه فجأة إلى أن أحد رجال الأمن غائب ، فسأل فى اهتمام :

ـ ولكن أين (عونى) ؟

أجاب رجل أمن آخر :

- لسنا ندرى يا سيِّدى القبطان .. لقد كان بصحبتنا ، عندما كشفنا الحادث ، ثم انصرف ليفحص قاع المكوك ، والمخزن ، والمفترض أنه قد سمع النداء مثلنا ، ولست أدرى لماذا لم يستجب له ، أو ...

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما أضئ مصباح صغير ، فى سقف المكان ، وانطلق منه أزيز خافت ، فسأل (أكرم) فى توتر :

- ما الذى يعنيه هذا ؟

أجابه (نور) فى سرعة :

- يعنى أن بعض الفضلات قد أُلقيت إلى الفضاء ، عبر جهاز الدفع ، و ..

بتر عبارته فجأة ، وهو يحدِّق فى النافذة المستديرة ، التى تقع خلف (أكرم) تمامًا ، فالتفت إليها الجميع فى حركة غريزية ، واتسعت عيونهم فى ارتياع ..

فأمام أعينهم مباشرة ، وعبر الفضاء الشاسع ، كان يسبح جسد رجل الأمن (عونى) ..

وبدون زى فضائى واق ..

★ ★ ★

« مستحيل ! .. » .

هتف القبطان بالكلمة ، وهو يحدِّق فى الجثة السابحة فى الفضاء ذاهلاً، قبل أن يواصل فى اضطراب شديد :

- جهاز الدفع الفضائى لا يعمل أبدًا من تلقاء نفسه ، لقد أشعله أحدهم حتمًا ، فى قاع السفينة ، والمفترض أن الجميع هنا ، باستثناء الرجلين ، اللذين يقودان المكوك ، فمن دفع هذا المسكين فى الفضاء ، ليلقى هذه الميتة البشعة ؟!

سأله (نور) فى توتر :

- ألا يمكن أن يتخلَّى أحد الرجلين عن موقعه ، فى حجرة القيادة ؟! .. أعنى أن يتم تشغيل طيَّار آلى مثلاً ؟

أجابه القبطان فى اضطراب أكثر :

- مستحيل ! لست أعنى أننا لا نستطيع قيادة المكوك آليًا ، ولكن الانتقال من القيادة اليدوية إلى الطيَّار الآلى يحتاج إلى بعض الوقت ، وعندما يحدث هذا ، يتم الإعلان عنه فورًا ، فى كل مكان بالمكوك ، تمامًا مثلما حدث ، عندما اشتعل جهاز الدفع الفضائى .

بدا الحنق على وجه (أكرم) ، وهو يقول :

- ومن أشعله فى رأيك إذن ، ما دمنا جميعاً هنا ؟ .. الرجل الخفى ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- جميعنا هنا ، فيما عدا الطبيب .

هتف أحد رجال الأمن مستنكراً :

- الطبيب ؟! .. أى قول هذا يا رجل .. الطبيب هو أكثر من عرفت فى حياتى كلها وقاراً واحتراماً ، ويعمل معنا منذ عام كامل ، دون أن نلحظ عليه بادرة شر واحدة ، ولا يمكننى أن أتخيَّل إقدامه على شىء كهذا .

اندفع (أكرم) يقول له فى حدة :

- لم يعد أمامنا إذن سوى الرجل الخفى .

قال (نور) بغتة :

- أو ..

ثم بتر قوله ، قبل أن يتجاوز الحرفين ، فالتفت إليه الجميع فى دهشة وتساؤل ، ورمقته كل العيون فى لهفة ، فالتقط نفساً عميقاً ، وهو يكمل :

- أو أن لدينا ضيفاً غير مرغوب فيه ، على سطح المكوك .

اتسعت عيونهم فى ارتياع ، وسأله (أكرم) فى توتر ،

وأصابعه تضغط ، على نحو غريزى ، مقبض مسدسه :

- (نور) .. اصدقنى القول .. هل تعتقد أن شيئاً ما قد تسلل إلى المكوك ، فى أثناء وجودنا على المريخ ؟!

لم يجب نور على الفور ، وإنما تردَّد بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

- ربما .. لم أحسم أمرى بالضبط ، بالنسبة للوسيلة التى وصل بها ذلك الشىء إلى هنا ، ولكن ما نراه حولنا يؤكِّد أننا لسنا وحدنا هنا أيها السادة .. لسنا وحدنا أبداً .

هبطت عبارته عليهم كالصاعقة ، وسرت فى أجسادهم قشعريرة باردة قاسية ، وهم يتخيَّلون ما يمكن أن يحدث ، لو أن وحشاً جديداً تسلَّل إلى المكوك وراح يقتلهم واحداً بعد الآخر ..

وإلى أعماقهم ، تسلَّل خوف عجيب ..

خوف كاد يلتهم مشاعرهم فى قسوة ، قبل أن يقول (أكرم) فى صرامة :

- (نور) .. هل كنت جاداً ، عندما قلت : إن فريقنا مازال قائماً .

أجابه (نور) فى سرعة وحزم :

- بالتأكيد .

وهنا ، انتزع (أكرم) مسدسه من حزامه ، وشدّ قامته فى اعتداد واثق حازم ، وهو يقول :

- عظيم .. فى هذه الحالة ، يسعدنى أن أبلغكم أيها السادة أن صلاحياتكم كمسئولين عن الأمن قد تراجعت ، وأننا سنتولّى الأمر منذ هذه اللحظة ، باسم المخابرات العلمية المصرية .

تطلّع إليه (نور) فى دهشة ، ولكنه أكمل فى حزم أكثر :

- وسنبدأ بخطوة محدودة .

وانعقد حاجباه فى شدة ، قبل أن يضيف :

سنفتش القاع .. وفورًا .

وعلى الرغم من أنه كان من المفترض أن يأتى الأمر عن لسان (نور) باعتباره القائد الفعلى للفريق ، إلا أنه لم يعترض على ما قاله (أكرم) ..

لم يعترض مطلقًا ..

★ ★ ★

« هل ضايقك ما فعلته ؟! ... » .

ألقى (أكرم) السؤال على (نور) فى جدية شديدة ، بدت متناقضة مع طبيعته الساخرة ، وهما يهبطان مع أثنين من رجال الأمن إلى قاع المكوك ، فأجابه (نور) فى هدوء :

- ولماذا يضايقنى ؟

أجابه فى اهتمام :

- لأننى تغاضيت عن فارق الرتب .

ابتسم (نور) وهو يقول :

- هل تعتقد أن هذه الأمور يمكن أن تصنع فارقًا ، فى موقفنا هذا ؟

تنهّد (أكرم) فى ارتياح ، وهو يغمغم :

- حمدًا لله .. خشيت لحظة أن ...

لم يكمل عبارته ، وكأنما لم يجد داعيًا لهذا ، خاصة وأن المصعد الداخلى قد وصل بهم ، فى اللحظة ذاتها إلى قاع المكوك ، فتسلّل التوتر إلى أربعتهم ، واستلّ (نور) مسدسه الليزرى ، وهو يقول لرجلى الأمن فى حزم :

- أعتقد أنكما تدركان جيدًا مدى دقة الموقف ، فأرجو ألا تزيدانه صعوبة ، وأن تتريثا بقدر الإمكان ، قبل أن

تطلقا النار على أى هدف متحرِّك .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وكأنما لم يرق له القول ، فى حين سأل أحد الرجلين (نور) فى توتر :

- وماذا لو هاجمنا ذلك الهدف المتحرِّك ؟

أجابه (نور) على الفور :

- دافع عن نفسك بالطبع ، ولكن تأكد أولاً من أنه يهاجمك بالفعل .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

- والآن اتجها إلى المقدمة ، وسأتولى وزميلى مهمة تفتيش المؤخرة .

انفصلا إلى مجموعتين ، وتحرَّك (نور) و(أكرم) نحو المؤخرة فى حذر ، وهذا الأخير يقول فى سخرية عصبية :

- وكيف سيتأكَّد الواحد منهما من أن أى شىء يهاجمه ؟ .. هل سيسأله عن هدفه ، أم سيراجع وجهه على أرشيف الكمبيوتر ، قبل أن يطلق عليه النار ؟!

أجابه (نور) فى صراحة :

- نحن لا ندرى ما الذى نواجهه بعد ، والطبيب مازال

مفقودًا ، ولست أحب له أن يلقى مصرعه ، لأن حارسنا متوترًا تصوَّر أنه وحش كاسر ، وأطلق عليه النار ، قبل أن يتحقَّق من شخصيته .

قال (أكرم) بنفس السخرية العصبية :

- وماذا لو أن الطبيب نفسه هو الذى اختطف حفيدك ، وقتل الحارس ، ثم دفع الثانى فى الفضاء ؟

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يسأله ، فى أثناء سيرهما فى حذر ، عبر ممرات القاع المتشابكة :

- ولماذا يفعل هذا ؟

هزَّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

- ربما لأنه تصوَّر أنه المسئول عن السلامة الصحية لكل ركاب المكوك ، وأن هذا يقتضى القضاء على الصغير ، كمصدر رئيسى للخطر .

سأله (نور) :

- ولماذا قتل الحارسين ؟

أجاب بسرعة :

- لأنهما حاولا منعه من قتل الصغير .

هزَّ (نور) رأسه ، قبل أن يقول :



قبل أن يتم عبارته ، انطلق فجأة فى المكان صوت أحد حارسى الأمن ، يصرخ فى رعب هائل : ـ رباه !.. مستحيل !..

ـ عجباً ! .. ألا يبدو لك التناقض واضحاً فى منطقك يا رجل .. كيف يخاطر الطبيب بمكانته ومستقبله ، فى سبيل الحفاظ على أمن وسلامة رُكاب المكوك ، ثم يزهق أرواحهم بهذه السرعة والبساطة ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يجيب :

ـ الرجل شاهد ممرضته تحترق ، ورأى وجهها يذوب ، بفعل تلك المادة الخضراء المخيفة ، وربما أصابه هذا باضطراب نفسى ، أفقده منطقه وسلامة تفكيره .

ابتسم (نور) فى شىء من الخبث ، وهو يقول :

ـ ما دمنا نتحدَّث عن الافتقار إلى المنطق وسلامة التفكير ، فدعنى أذكرك بأنك ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، انطلق فجأة فى المكان صوت أحد حارسى الأمن ، يصرخ فى رعب هائل :

ـ رباه !.. مستحيل !.. هذا غير ممكن !!

ثم امتدَّت صرخته رهيبة مجلجلة ، تحمل كل رعب وفزع وألم الدنيا ، إلى جانب رائحة مخيفة ، تنبعث من كل نبرة من نبراته ..

رائحة الموت ..

★ ★ ★

٤ - رعب فى القاع ..

ارتسم توتر شديد على وجه (نشوى) ، فضاعف من شحوبها وامتقاعها ، وهى تقول لزوجها (رمزى) فى شىء من العصبية :

- خطأ يا (رمزى) .. خطأ .. لم يكن ينبغى أبدًا أن نترك أبى و(أكرم) يهبطان وحدهما إلى القاع .. كان من الضرورى أن نرافقهما ، حتى ولو أصرًا على العكس .

أجابها (رمزى) فى صبر :

(نور) مازال قائد الفريق يا (نشوى) ، وليس لأحد منا مخالفة أوامره قط ، وإلا لفسد العمل كله .. هذا ما تعلمناه فى فترة عملنا فى المخابرات العلمية ، وهو يرى أنه من الأفضل ألا نهبط جميعًا إلى قاع المكوك ، مادمنا نجهل طبيعة الخطر ، الذى يمكن أن يواجهنا هناك ، ثم إنه أكد لى أنه سيشعر بالارتياح أكثر ، لو أننى بقيت إلى جوارك ، أنت و(سلوى) و(مشيرة) ، لحمايتكم ورعايتكم .. ثم إنه ليس وحده مع (أكرم) ، فبصحبتهما

اثنان من أفضل رجال الأمن هنا ، بالإضافة إلى أن القبطان يراقب تحركات الأربعة ، على شاشات الرصد ، عبر آلات التصوير ، المنتشرة فى ممرات القاع .

تفجّرت الدموع من عينى (نشوى) ، وهى تهتف :

- ولكنه ابننا يا (رمزى) .. ابننا ذلك الذى اختفى .. ألا يساورك القلق عليه على الأقل .

أجابها فى مرارة :

- القلق ؟! .. بل قولى : إننى أشعر بالرعب .. إننا نجهل حتى من أخذه ، ولماذا ؟! .. وأخشى ما أخشاه أن يكون الفاعل قد تخلّص منه ، أو ..

صرخت (نشوى) تقاطعه :

- لا .. لا تقل هذا .. لا .

ثم انفجرت باكية فى انفعال عنيف ، جعل (سلوى) تهرع إليها ، وتضمها إلى صدرها فى عطف وحنان ، هاتفة :

- اهدئى يا ابنتى .. اهدئى .. كل شىء سينتهى على ما يرام بإذن الله .. (نور) سيعثر على ابنك ، ويعيده إليك سالمًا .

انسكبت دموع (نشوى) على صدر أمها ، التى ضمّتها إليها أكثر ، وراحت تربت على ظهرها فى رفق حنون ، فى حين هزّت (مشيرة) رأسها ، مغمغمة :

- المهم أن يعود سليمًا معافى ، كأى طفل عادى ، وليس على تلك الصورة ، التى وُلِدَ عليها .

التفتت إليها (نشوى) ، قائلة فى غضب :

- أية صورة ؟!

ارتبكت (مشيرة) وهى تقول :

- يبدو أننى أخطأت اختيار اللفظ ، ولكننى كنت أعنى لونه الأخضر ، و ..

قاطعتها (نشوى) فى غضب عصبى :

- إنه ابنى .. أيًا كان لونه ، فهو ابنى .

أسرع إليها (رمزى) ، قائلاً :

- بالتأكيد يا حبيبتى .. بالتأكيد .. إنه ابننا ، وسنمنحه كل حبنا وحناننا ورعايتنا ، عندما يعود إلينا سالمًا بإذن الله ، بغضّ النظر عن لونه .

قالت (سلوى) لـ (رمزى) فى ضراعة :

- (رمزى) .. ألا يمكنك حقنها بأى عقار مهدئ ؟.. ستصاب بانهيار عصبى حتمًا ، لو استمرّت على هذا النحو .

أجابها (رمزى) فى شىء من التوتر ، وهو ينهض من مكانه :

- سأجد شيئًا حتمًا فى العيادة الطبية ..

كان يتجه نحو باب الحجرة فى خطوات سريعة ، عندما ظهر القبطان على عتبتها بغتة ، شاحب الوجه ممتقعه ، وهو يتطلّع إليهم ، على نحو جعل (سلوى) تهتف فى ارتياع :

- ماذا هناك أيها القبطان ؟! .. هل أصيب زوجى بمكروه ؟!

هتف القبطان بسرعة :

- مطلقًا .

ثم استدرك بعد لحظة من التوتر :

- حتى آخر لحظة رأيته فيها على الأقل .

تبادل الجميع نظرة بالغة التوتر ، قبل أن تهتف (نشوى) :

- قل لنا ماذا حدث بالله عليك ؟!

تردّد القبطان لحظة ، ثم حسم أمره ، واندفع قائلاً :
ـ انقطع الاتصال بيننا وبين قاع المكوك .
اتسعت عيونهم جميعًا فى ذعر ، وهتفت (سلوى) :
ـ ماذا تعنى بانقطاع الاتصال ؟
أجابها فى توتر ملحوظ :
ـ كنا نراقب كل ما يحدث فى القاع ، عبر شبكة الرصد الداخلية ، ثم فجأة ، انقطع الإرسال ، وتوقف عمل ذلك الجزء من الشبكة ، ولم يعد هناك أى اتصال بيننا وبين قاع المكوك .
سأله (رمزى) فى قلق حذر :
ـ ولماذا لم ترسل أحد الفنيين لفحص دوائر التشغيل ، وتحديد سبب العطل ؟
تردّد القبطان مرة أخرى ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :
ـ أخشى أن هذا أيضًا لم يعد ممكنًا ، فكل الدوائر فى قاع المكوك ، ومع انقطاع الاتصال ، فوجئنا أيضًا بأن المدخل الرئيسى والوحيد ، الذى يصل المكوك بالقاع ، قد تم إغلاقه تمامًا .

انتفض جسد (سلوى) فى عنف ، واتسعت عينا (نشوى) فى ارتياع ، وهتفت (نشوى) فى رعب :
ـ رباه ! .. أبى !!
أما (رمزى) ، فقال فى توتر عنيف :
ـ هل تعنى أن (نور) و(أكرم) ....
قاطعه القبطان فى سرعة وانفعال :
ـ نعم للأسف .. لقد أصبحا ، مع رجلى الأمن ، معزولين ومسجونين فى قاع المكوك .
هبط قوله عليهم كالصاعقة ، وفجّر فى أعماقهم رعبًا هائلاً ..
وجديدًا ..

★ ★ ★

لم تكد صرخة رجل الأمن تتردّد فى القاع ، حتى انطلق (نور) و(أكرم) يعدوان نحو المقدّمة ، وكل منهما يحمل مسدسه ، وهتف الأخير فى عصبية :
ـ هذا ما كنت أخشاه .
صاح به (نور) ، وهو يعدو بأقصى سرعته :
ـ إياك أن تطلق النار ، دون أن ..

قاطعه (أكرم) فى عصبية :

- قبل أن التقط عشر صور للخصم .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى ضيق ، إلا أنه لم يحاول الدخول فى مناقشة عنيفة مع (أكرم) ، فى مثل هذا الموقف ، خاصة وأن صوت رجل الأمن الآخر ارتفع أيضًا ، وهو يصرخ :

- اللعنة !.. ما الذى يحدث هنا ؟

وصل إليهم (نور) و(أكرم) ، وهو يفرغ ما فى جوفه ، على مسافة متر واحد من زميله ، الذى سقط على ظهره ، واتسعت عيناه فى رعب هائل ، يشف عما واجهه ، قبل أن يلقى مصرعه ، وقد احترقت أجزاء متناثرة من وجهه وصدره وذراعيه ، والتصقت بها تلك المادة الخضراء ، التى تتصاعد منها أبخرة صفراء باهتة ..

وفى مزيج من الذهول والاشمئزاز ، هتف (أكرم) :

- ماذا حدث ؟!

أجابه رجل الأمن فى انفعال شديد :

- لست أدرى .. لقد وصلنا إلى المقدمة معًا ، واتفقنا

على أن نفترق ، فيذهب أحدنا لتفتيش الميمنة ، والآخر لفحص الميسرة ، ولم أكد أبتعد قليلًا ، حتى سمعت صرخته ، فهرعت إليه على الفور ، ورأيته على هذه الصورة .

ثم التفت إلى واحدة من آلات التصوير ، مستطردًا فى غضب :

- أين أنتم أيها المراقبون ؟! .. لماذا لا تفصحون عما رأيتموه ؟! .. ماذا أصاب هذا المسكين ؟!

تلفت (أكرم) حوله ، وهو يقول فى عصبية :

أيًا كان من فعل هذا ، فهو لم يبتعد كثيرًا .. إنه هنا فى مكان ما .

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه ، وهو يتطلع إلى أجهزة المراقبة ، قبل أن يقول فى توتر :

- ولكنه يجيد عمله إلى حد ما ، فقد أفسد أجهزة المراقبة ، قبل أن يرتكب فعلته الشنعاء .

هتف (أكرم) ، وقد تضاعفت عصبيته وتزايد توتره :

- أفسدها ؟! .. ما الذى يدبره لنا بالضبط ؟

انتزع رجل الأمن مسدسه ، وهو يصرخ :

- لن يجد الوقت ليدبّر لنا شيئًا .. سأقتله .. أقسم أن أفعل .

صاح به (نور) فى صرامة :

- تمالك نفسك يا رجل .. أنت رجل أمن ، وليس من المفترض أن تفقد السيطرة على أعصابك على هذا النحو .

هتف رجل الأمن فى غضب :

- لقد قتل زميلى .

أجابه (نور) فى حدة :

- لسنا ندرى بعد ما الذى قتل زميلك ، وحتى نتوصّل إلى هذا ، لست أريدك هنا .. هيّا .. عُد إلى المكوك فورًا .

قال الرجل فى عصبية :

- ولكننى ..

قاطعه (نور) فى غضب صارم :

لا تناقشنى .. إنه أمر .

انعقد حاجبا الرجل فى شدة ، وهو يقول :

- فليكن .

وابتعد عنهما فى خطوات عصبية سريعة ، فغمغم (أكرم) فى توتر :

- هل سمعت ما صرخ به الحارس القتيل ، قبل أن يلقى مصرعه ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم .. سمعته .. كان مذعورًا ذاهلًا ، وكأنما رأى شيئًا غير مألوف ، أو شيئًا غير طبيعى على الإطلاق .

سأله (أكرم) :

- مثل ماذا ؟!

التقى حاجبا (نور) وهو يغمغم :

- لست أدرى .. هناك احتمال قائم فى ذهنى ، ولكنه مخيف .. مخيف للغاية .

سأله (أكرم) فى لهفة وفضول :

- أى احتمال هذا ؟!

انفرجت شفتا (نور) ، وهمّ بقول شىء ما ، ثم لم يلبث أن أطبقهما فى حزم ، وهو يهز رأسه فى قوة ، قائلاً :

- ليس بعد يا (أكرم) .. ليس بعد .

بدا التوتر والغضب على وجه (أكرم) ، وقال محتدًا :

- هل ستخفى عنى ما توصلت إليه كالمعتاد ؟

أجابه (نور) فى حزم :

- لم أتوصل إلى شىء بعد يا (أكرم) .. كل ما لدىّ مجرد مخاوف .. مخاوف بلا أى دليل .

وعلى الرغم من الحزم ، الذى نطق به عبارته ، كان (نور) يشعر فى أعماقه بتوتر لم يشعر بمثله ، فى حياته كلها ..

هذا ، لأن الفكرة التى تدور فى عقله كانت مخيفة بالفعل ..

مخيفة إلى أقصى حد ..

* * *

قطع رجل الأمن ذلك الممر الطويل ، الذى يقود من مقدمة قاع المكوك ، إلى المدخل الرئيسي لمستواه الأساسى ، فى خطوات واسعة سريعة ، وهو يقول فى حنق غاضب :

- اللعنة ! .. اللعنة ! .. زميلى يلقى مصرعه على

نحو بشع رهيب ، ثم يأتى رجل المخابرات العلمية السخيف هذا ، ويطلب منى العودة إلى أعلى ، دون أن يمنحنى فرصة الثأر له .

وصل إلى المدخل ، ودماؤه تغلى فى عروقه ، وأحنقه أكثر أن يجده مغلقًا ، فضغط زر رتاجه الإليكترونى ، وهو يستطرد محتدًا :

- أى سخف هذا ؟! .. لماذا أغلقوا المدخل ، فى هذا الوقت بالذات .

راح يضغط الزر مرة ، ومرة ، ومرة ، إلا أن الباب لم يستجب لضغطاته مطلقاً ، مما أورثه توتراً عنيفاً ، جعله يهتف ، وهو يواجه إحدى آلات المراقبة الداخلية ، متصوراً أنها مازالت تعمل بكفاءة :

- افتحوا هذا المدخل .. هيا .. لا داعى لهذه التصرفات الحمقاء .. هيا .

قالها ، وانتظر لحظات ، دون أية استجابة ، مما ضاعف من توتره ، فضرب الباب المعدنى بقبضته فى قوة ، صائحًا :

- ماذا أصابكم ؟! .. هل أصبحتم صمًا بكمًا ؟! .. لماذا لا تفتحون هذا المدخل ؟!

واصل دقاته على المدخل بضع لحظات ، ثم لم يلبث الرعب أن تسلل إلى نفسه ، عندما لم يحصل على أية استجابة ، فتحولت صرخاته من الغضب إلى الضراعة :

- افتحوا .. أرجوكم .. لم أعد أحتمل البقاء هنا .. هذا المكان يـ ...

بتر عبارته بغتة ، عندما لمح جسمًا يتحرك ، من طرف عينه ، والتفت ناحيته فى سرعة وذعر ، ولكنه لم يجد شيئًا أمامه ، فازدرد لعابه فى توتر بالغ ، وقال بصوت مختنق مبحوح :

- من هنا ؟!

جاوبه صمت مطبق ، جعله يشهر مسدسه فى عصبية ، وعرق بارد يغمر جبينه ، وهو يتقدم نحو تلك البقعة التى لمح فيها ذلك الجسم المتحرك ، ويقول فى توتر بلا حدود :

- من أنت ؟ .. ما الذى تحاول فعله ؟!

ودار حول الجدار المواجه ، و ...

وانتفض جسده فى رعب هائل ، وهو يحدق فى ذلك الماثل أمامه ..

وبكل الذعر فى أعماقه ، صرخ :

- مستحيل ! .. هذا مستحيل !

ولم يكد يطلق صرخته ، حتى أعقبها صوت أشبه بالفحيح ، وتناثرت تلك المادة الخضراء على وجهه وصدره وذراعيه ، فضغط زناد مسدسه الليزرى بحركة آلية ، وهو يصرخ فى رعب وألم .. .

وانطلقت خيوط أشعة الليزر القاتلة فى كل مكان ، وصرخات المسكين ترج قاع العكوك كله ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، وتتصاعد منه تلك الأبخرة ..

الأبخرة الصفراء الرهيبة ..

★ ★ ★

مع انطلاق تلك الصرخة الثانية ، انتفض جسد (أكرم) فى عنف ، وهتف :

- اللعنة !.. كنت أعلم هذا .

وصاح به (نور) ، وهو يعدو نحو مصدرها :

- احترس .. من الواضح أننا نواجه خصمًا رهيبًا .

هتف (أكرم) فى عصبية :

- عظيم .. هذا تطور مدهش فى نظرتك للأمور ..

والآن .. هل يمكننا إطلاق النار على الخصم الرهيب ؟

أجابه (نور) ، وهو ينتزع مسدسه بدوره :

ـ ولكن دون قتله .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يهتف فى حدة :

ـ لا يمكننى أن أعدك بتنفيذ هذا الأمر ، ولا بـ ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يتوقف على نحو مفاجئ ، كاد يسقطه على وجهه ، بفعل القصور الذاتى(*) ، ويحدّق فى جثة رجل الأمن الثانى ، الذى التهمت تلك المادة الخضراء المخيفة أجزاء من وجهه ، وتركته فى صورة شديدة البشاعة ، على نحو أصاب (نور) بتوتر شديد ، وجعله يتلفّت حوله فى عصبية ، قائلاً :

ـ من الواضح أن الأمور لن تمضى فى يسر .

أجابه (أكرم) ، وهو يضغط زر فتح المدخل :

ـ هذا صحيح ، ولو أردت نصيحتى ، فالأفضل أن يرتدى كل منا زيًا واقيًا ، قبل أن نواجه ذلك الشىء ،

(*) القصور الذاتى = الخمول = هو مقاومة الجسم الساكن للحركة ، أو مقاومة الجسم المتحرّك لتزويده بعجلة ثابتة ، أو تغيير اتجاهه ، ولقد عبّر عنه (نيوتن) فى قانونه الأوّل للحركة ، والمعروف باسم (قانون القصور الذاتى) .

الذى يطلق تلك المادة الخضراء ، وإلا فلن يختلف مصيرنا كثيرًا عن مصير رجلى الأمن هذين .

قالها ، وهو يضغط زر الباب مرة ، ومرة .. ومرة ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ اللعنة ! .. هذا الباب يرفض الاستجابة .

التفت إليه (نور) قائلاً فى قلق :

ـ ماذا تعنى ؟

لوّح (أكرم) بيده فى حدة ، قبل أن يجيب :

ـ الزر لم يعد يعمل ، وفتح المدخل لم يعد ممكنًا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وضغط الزر بدوره مرتين ، قبل أن تحيط أصابعه بمقبض مسدسه فى قوة ، ويتلفّت حوله ثانية ، قائلاً :

ـ لقد أفسد أحدهم عمل الباب .

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ أحدهم ؟! .. ماذا تعنى بكلمة أحدهم هذه ؟! .. ذلك القاتل ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ ليس هذا هو المهم الآن .. فليكن خصمنا

ما يكون .. المهم أن نتأهب لمواجهته والتصدى له ، إذا ما لزم الأمر .

وبحركة آلية ، ألصق كل منهما ظهره بظهر زميله ، وراحا يدوران حول بعضهما فى حذر ، وهما يتوقعان هجومًا مباغتًا ، و(نور) يقول ، موجهًا حديثه إلى آلة المراقبة :

- هل تسمعوننا بأعلى ؟! .. لو أن ما يدور فى رأسى صحيحاً ، فلن يمكنكم رؤيتنا أو سماع أصواتنا ، أو معرفة ما يحدث هنا .. أما لو كنت مخطئًا ، فأريد منكم أن تفعلوا أى شىء ، يدل على أنكم تتابعون الموقف هنا ، حتى ولو كان هذا الشىء هو الدق على المدخل بقبضاتكم .

قال (أكرم) فى عصبية :

- هل تعنى أن القاتل أفسد عمل أجهزة الاتصال الداخلى أيضًا ؟

أجابه نور فى حزم :

- لو أنك فى موضعه ، لكان هذا أول ما تفعله .

هتف (أكرم) فى عصبية :

- عظيم .. إذن فأنت تعنى أننا صرنا مسجونين هنا ، فى قاع المكوك ، والاتصال بيننا وبين الآخرين منعدم تمامًا .. يا له من موقف رائع !

أجابه (نور) ، فى توتر مماثل :

- نسيت أن تضيف أننا لسنا وحدنا ، ولكننا مسجونان هنا مع قاتل .. قاتل مخيف .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

- ربما كان هذا من سوء حظه ، فلو أن بصرى وقع عليه للحظة واحدة ، سيعنى هذا أن ألف رصاصة ستخترق رأسه .. لو أن له رأسًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطفأت أنوار القاع كلها دفعة واحدة ..

وساد ظلام مخيف ..

مخيف حتى الموت .

* * *



٥ ـ الظــلام ..

تحرّكت أصابع القبطان فى توتر ملحوظ ، فوق أزرار الكمبيوتر الرئيسى ، فى حجرة الفحص الإليكترونى ، التى استوعبت الجميع ، (رمزى) ، و(سلوى) ، و(نشوى) ، و(مشيرة) ، وقالت (سلوى) فى قلق عارم ، وهى تتابع شاشة المعلومات :

ـ ولكن هذا خطأ بشع فى تصميمات المكوك ! .. كيف تضعون كل أجهزة التحكّم فى قاع المكوك ، فى وجود باب يفصل بينكم وبينه ؟! .. ماذا لو تعطّل هذا الباب ، كما حدث الآن ؟

أجابها القبطان فى عصبية :

ـ تعطّل الباب هذا أمر غير طبيعى يا سيّدتى ، والدراسات الأساسية تؤكّد أن احتمال حدوثه لا يتجاوز الواحد فى كل مائة مليون .

هتفت فى حنق :

ـ ولكنه حدث بالفعل .

أجابها محتدًا :

ـ ليس كعطل طبيعى .. لقد أغلق أحدهم الباب عمدًا ، وفصل أجهزة التحكم ، حتى لا يمكننا إعادته للعمل .

صاحت به :

ـ كل هذا لا يهمنى .. الشىء الوحيد الذى يعنينى الآن هو أن زوجى مسجون بأسفل ، مع خصم مخيف ، لا ندرى طبيعته بالضبط ، وحفيدى مختف ، منذ أكثر من ساعة ، دون أن نعلم شيئًا عن مصيره .

قال القبطان فى حدة ، وهو يضغط الزر الأخير :

ـ إنها ليست مشكلتك وحدك يا سيّدتى .. إنها مشكلتنا جميعًا .

اندفعت (نشوى) قائلة فى غضب :

ـ ولكنك لن تعانى منها مثلما نعانى نحن .

احتقن وجه القبطان فى شدة ، وهو يهتف :

ـ كيف تقولين هذا يا سيّدتى ؟! .. إننى ..

قاطعه (رمزى) بسرعة ، محاولًا تهدئة الموقف :

ـ رويدك أيها القبطان .. مهلًا يا (سلوى) ، وأنت يا (نشوى) .. الطفل المختفى ابنى أيضًا ، و(نور) و(أكرم) من أعزّ أصدقائى ، ولكننى لا أرجو أبدًا أن

تتعقد الأمور إلى هذا الحد ، أو يصل بنا توتر أعصابنا إلى التشاجر والتناحر بمنتهى العنف ، دون أن نوجه اهتمامنا الرئيسي للموقف ذاته ، خاصة وأنه يحتاج بالفعل إلى كل اهتمامنا وتفكيرنا وجهدنا .

قالت (مشيرة) فى حماس :

ـ هذا صحيح .. زوجى أيضاً مسجون مع (نور) ورجلى الأمن فى القاع ، ولكننى أعتقد جديًا ، أن أفضل ما نفعله من أجل الجميع ، هو أن نوقف مشاحناتنا ، ونتوقف عن توجيه الاتهامات لبعضنا ، ونركز جهودنا فى البحث عن الحل .

ران الصمت لحظة على المكان كله ، ثم التفتت (نشوى) إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

ـ ما الذى وجدته أيها القبطان ؟

كانت دعوة غير مباشرة لنبذ الخلافات ، والتركيز على البحث عن حل للمشكلة ، ولقد استقبل القبطان الموقف مباشرة ، وقال مشيراً إلى الشاشة :

ـ خطوط الاتصال الرئيسية تمتد من قاع المكوك ، عبر فجوات خاصة فى جدرانه ، إلى كل أجزائه العلوية ،

ولا توجد وسيلة واحدة لإعادة الاتصال ، بين القمة والقاع ، أما بالنسبة للمدخل ، فربما كانت هناك وسيلة لإعادة تشغيله ، ولكن ...

سألته (مشيرة) فى لهفة ، عندما توقف بغتة :

ـ ولكن ماذا ؟

هزَّ رأسه فى شىء من التوتر ، دون أن يجيب ، فى حين قالت (نشوى) فى انفعال ، مشيرة إلى الشاشة :

ـ ولكن هذا يحتم خروج شخص ما إلى خارج المكوك .

سأل (رمزى) فى دهشة :

ـ ولماذا ؟!

ضغطت (نشوى) زرًا آخر من أزرار الكمبيوتر ؛ فارتسمت على شاشته صورة ثلاثية الأبعاد للمكوك ، ثم تألَّقت على سطحه عدة خيوط مختلفة الألوان ، وبدا وكأن آلة تصوير خفية تتتبع أحد هذه الأسلاك ، عبر مناظير مجسَّمة للمكوك ، و(نشوى) تجيب :

ـ خط التحكم فى فتح وإغلاق المدخل ، يتصل بغرفة الاتصالات ، عبر خط خاص مؤمَّن ، يمر عبر جدران

المكوك إلى قرب سطحه ، وفى حالتنا هذه ، عندما ينقطع الاتصال الرئيسى ، يمكننا أن نعترض مسار الخط ، من نقطة خاصة ، على السطح الخارجى للمكوك ، ونوصله بجهاز تحكم إضافى .

قالت (مشيرة) بشىء من العصبية :

- ولماذا لا ننسف الباب مباشرة ، بدلاً من هذه التعقيدات ؟

أجابها القبطان هذه المرة ، قائلاً :

- الباب مدعَّم بألواح من الصلب ، بسمك سنتيمترين ، ونسفه يحتاج إلى مدفع ليزر ، أو ثلاثة كيلو جرامات من المتفجرات البلاستيكية(*) ، وانفجار كهذا كفيل بالإطاحة بالمكوك كله .

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة ، وبصفتى والد الطفل المختطف ، وصديقاً لـ (نور) و(أكرم) ، أعتقد أننى الشخص

(*) المتفجرات البلاستيكية - اسم يطلق على نوع من لدائن الـ (T.N.T) المتفجرة ، التى يمكن تشكيلها ، بحيث توضع فى أى حيز محدود ، وهى عبارة عن خليط من مواد سريعة الاشتعال ، تنطلق منها طاقة هائلة ، فى أثناء انحلالها السريع ، وهى تحتاج حتماً إلى مفجِّر لإشعالها .

المسئول عن الخروج ، ومحاولة الـ ...

قاطعه القبطان فى صرامة :

- مستحيل !..

قال (رمزى) فى حزم :

- إننى أصرّ .

أجابه القبطان فى صرامة أكثر :

- ليس من حقك أن تفعل .. مازلت أحتفظ بمنصب القيادة ، على هذا المكوك ، وطبقًا للقانون، لا أحد يجرؤ على عصيان أوامرى ، ومن غير المسموح للركاب بالتدخُّل فى الأمور الرسمية .

قالت (مشيرة) فى عصبية :

- ولكن (نور) و(أكرم) فعلا .

أجابها فى سرعة وحزم :

طبقًا لما لدى من معلومات ، فهما وحدهما ينتميان إلى المخابرات العلمية المصرية ، فى الوقت الحالى ، والقانون يمنحهما الحق فى التدخُّل على الفور ، تبعًا لمقتضيات الموقف ، أما فى غيابهما ، فلدى كل السلطات المطلقة ، ولدى أيضًا رجال متخصصون ، يمكننى أن أعهد إليهم بالمهمة .

قالها ، والتقط جهاز الاتصال الداخلى ، قائلاً فى حزم :

- (نادر) .. (حميد) .. استعدا للقيام بمهمة طارئة خارج المكوك .. ارتديا الزى الفضائى ، وسألتقى بكما عند حجرة معادلة الضغط ، لأبلغكما تفاصيل المهمة .

وأنهى الاتصال فى حزم ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع ، مستطردًا :

- أعتقد أن هذا يحسم الأمر أيها السادة .

لم يجبه أحدهم بحرف واحد ، ولكن عيونهم جميعًا حملت تساؤلاً محدودًا ..

هل يحسم هذا الأمر حقًا ؟!

هل ؟! ..

* * *

سرت قشعريرة باردة فى جسد (أكرم) ، مع ذلك الانقطاع المباغت للأضواء فى القاع ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى عصبية :

- ما الذى يفعله بنا ذلك الشىء ؟

لم يجب (نور) مباشرة ، وإنما ازدرد لعابه ، وانتقى

كلماته أولاً ، قبل أن يقول فى خفوت ، وهو يتلفت حوله ، وكأنما يحاول اختراق حجب الظلام ببصره :

- إنه يعزلنا عمن حولنا ، ويسلبنا أسلحتنا واحدًا بعد الآخر .. فى البداية قطع الاتصالات ، وأغلق القاع ، ثم قتل رجلى الأمن ، والآن يقطع الأضواء ..

سأله (أكرم) فى عصبية :

- وماذا عن المرحلة القادمة ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى حسم :

- سيقطع أعناقنا .

ازداد ، انعقاد حاجبى (أكرم) ، وهو يقول :

- لست أعتقد أنه يفكّر بهذه الرقة والحساسية يا صديقى ، ونظرة واحدة إلى ما أصاب ضحاياه تكفى ، لتفهم ما أعنيه بالضبط .

استعاد ذهن (نور) تلك المشاهد البشعة ، قبل أن يغمغم :

- من الواضح أن هذه وسيلته الوحيدة للقتل .

سأله (أكرم) فى توتر :

- ولكن من أين حصل على تلك المادة ؟

أصاب السؤال جزءًا عميقًا فى نفس (نور) ، فجف حلقه ، والتقى حاجباه فى عنف ، وهو يغمغم :

ـ لست أدرى يا (أكرم) .. ربما ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق فجأة ذلك الصوت ..

صوت أشبه بالفحيح ، ينبعث من مسافة لا تزيد على الأمتار الثلاثة ، وإن كان يصعب تقدير اتجاهه بالتحديد ..

ومع انطلاقه ، توترت أعصاب الرجلين فى شدة ، وغمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ الوغد هنا .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ اصمت .

كان يرهف سمعه بقدر الإمكان ، ومحاولًا تحديد موقع خصمه ، إلا أن الصمت أطبق تمامًا على المكان ، كما لو أن صاحب الفحيح قد أطلق فحيحه ، ثم تحوّل بغتة إلى تمثال من الحجر ..

ثم فجأة ، التقطت أذنا (نور) حركة ما ..

حركة أشبه بحركة جسد يزحف أرضًا فى بطء ، على نحو يثير الرهبة والفزع فى النفوس ، كما لو أنه ثعبان

هائل ، يستعد للانقضاض على فريسته ..

وكان من الواضح أن (أكرم) قد التقط الصوت نفسه ، فقد تمتم فى توتر :

ـ ما هذا بالضبط ؟

قال (نور) مرة أخرى فى حسم :

ـ اصمت .

أدرك (أكرم) ما يستهدفه (نور) ، فلاذ بالصمت بدوره ، وراح يشحذ سمعه بكل ما فى استطاعته ، لتحديد موضع خصمه ، و ..

وانطلق ذلك الفحيح مرة ثانية ..

وفى هذه المرة ، كان أكثر قوة ..

وأكثر قربًا ..

ومع انطلاقه ، شعر (أكرم) بقطع من النار تتناثر على ذراعه وكتفه ، فصرخ فى غضب وألم :

ـ لقد أصابنى الوغد .

قالها ، وهو يطلق رصاصات مسدسه فى ثورة ، ودويّها يتردّد فى عنف فى المكان ، فهتف (نور) فى انزعاج شديد :

- حذار يا (أكرم) .

صرخ (أكرم) فى غضب ، وهو يواصل إطلاق رصاصاته ، نحو المكان الذى يفترض وجود خصمه فيه :

- حذار ماذا ؟! .. هل أنتظر حتى يقضى علىّ تمامًا .

صاح به (نور) :

- إنه يستفزك ، ويدفعك لإفراغ رصاصاتك كلها .

لم يكد (نور) ينطق قوله هذا ، حتى توقف (أكرم) عن إطلاق النار بغتة ، وقال فى عصبية :

- حقًا ؟!

أجابه (نور) فى توتر شديد :

- بالتأكيد .. لا تسمح له بإثارتك أو استفزازك .

هتف (أكرم) محتدًا :

- وماذا عن الألم الذى أشعر به ؟! .. ذراعى تحترق بتلك المادة اللعينة ، ورائحة تلك الأبخرة الخانقة تزكم أنفى .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- الأبخرة الصفراء ؟!

ثم هتف فى انفعال :

- اخلع سترتك بسرعة يا (أكرم) .. هيًا يا رجل .

لم يفهم (أكرم) ما يعنيه (نور) ، ولكن خلع سترته بأقصى سرعة ، دون أن يعارضه أو يناقشه ، فتابع (نور) :

- ألقها أرضًا بطول ذراعك الأيسر .

أطاعه (أكرم) هذه المرة أيضًا ، وهو يسأل :

- ما الذى ..؟

قبل أن يتمّ تساؤله ، التفت (نور) نحو البقعة ، التى افترض وجود سترة (أكرم) فيها ، وأطلق نحوها أشعة مسدسه الليزرى ..

وكان تقديره سليمًا ..

لقد أصابت الأشعة سترة (أكرم) وأشعلت فيها النيران .

وعلى الضوء المنبعث من ألسنة اللهب الصغيرة ، لمح (نور) و(أكرم) ظلاً ينسحب ، على أرضية المكان ، ثم يختفى عبر أحد الممرات المتصلة به ..

وفى انفعال ، اندفع (أكرم) خلف ذلك الظلّ ، هاتفًا :

- ها هو ذا .



وفى انفعال ، اندفع (أكرم) خلف ذلك الظلّ ، هاتفًا : ـ ها هوذا ..

صاح به (نور) :

احترس يا رجل .. لا تندفع خلفه .

بلغت الصيحة مسامع (أكرم) ، وهو يقفز بالفعل إلى الممر ، الذى انسحب إليه ذلك الظلّ الغامض ، ولم يكد يستقرّ على أرضيته ، حتى ارتطمت عيناه بالظلمة الدامسة فى أعماقه ، واستقبله ذلك الفحيح المخيف ، فى نفس اللحظة التى تناثرت فيها تلك المادة الخضراء على صدره وذراعه الأخرى ..

وأطلق (أكرم) صيحة ألم عنيفة ، وهو يتراجع بحركة حادة ، ويطلق رصاصات مسدسه داخل الممر ، صارخًا :

ـ أيها الوغد .. أيها الوغد ..

التقط (نور) السترة المشتعلة ، وأسرع بها إليه ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى الحروق العنيفة ، التى أصابته فى صدره وذراعيه ، هاتفًا :

ـ رباه ! .. أنت تحتاج إلى إسعاف عاجل .

صرخ (أكرم) فى ألم رهيب :

- تلك المادة اللعينة تلتهمنى التهامًا .. اللعنة ! .. اللعنة !

تلفت (نور) حوله ، فى توتر شديد ، ثم اندفع نحو إحدى المعدات المنتشرة فى قاع المكوك ، وهو يقول فى توتر :

- ليس أمامى سوى محاولة واحدة .

وانتزع أسلاك المعدة فى قوة ، ثم حطم بابها بكعبه ، مستطردًا :

فتلك المادة إما حمض قوى ، أو مادة قلوية فتاكة .

وانحنى يلتقط جسمًا ثقيلًا ، وينتزعه من الآلة فى عنف ، ثم يندفع به نحو (أكرم) ، مضيفًا :

- وفى الحالة الأولى سنحتاج إلى مادة قلوية قوية ، أما فى الحالة الثانية ، فمن الضرورى أن نستخدم حمضًا مركزًا ، ليتعادل مع تلك المادة الخضراء(*) .

وألقى الجسم الثقيل إلى جوار (أكرم) ، وانتزع غطاءه ، مكملًا :

(*) لتخفيف تأثير المادة الحمضية أو القلوية ، يتم تزويدها بالماء ، أما فى حالة الرغبة فى فقد تأثيرها ، يتم مزجها بالمادة المضادة ، إذ إن القاعدة الكيميائية تقول إن مزج الحمض بالقلوى ينتج تفاعلًا محدودًا نواتجه الملح والماء .

- أما لو فعلنا العكس ، فستكون النتائج رهيبة ، فالحامض سيضاعف قوة الحامض ، والمادة القلوية ستجعل قرينتها أكثر فتكًا وتدميرًا .

ثم تنهّد ، وهو يسكب بضع قطرات من محتويات الجسم ، فوق المادة الخضراء ، التى تلتهم جسد (أكرم) وقال :

- وللأسف .. ليس لدى خيار .

هتف به (أكرم) فى انزعاج شديد .

- ماذا ستفعل بى ؟

قبل أن يتمّ عبارته ، تساقطت القطرات على المادة الخضراء ، وتفاعلت معها بصوت واضح ، وبدا المزيج وكأنه يغلى فى عنف ، قبل أن يتحوّل لون المادة إلى الأبيض ، وتتصاعد منها أبخرة بيضاء باهتة ، فهتف (نور) :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

هتف به (أكرم) :

- ماذا فعلت بالله عليك ؟ .. لقد تلاشت الآلام من هذه البقعة تمامًا .

أجابه (نور) ، وهو يسكب بضع قطرات أخرى ، على كل موضع أصابته المادة الخضراء ، من جسد (أكرم) .

ـ من حسن الحظ أن بعض معدات المكوك مازالت تستخدم التقنية التقليدية ، التى تعتمد على التفاعلات الكيميائية ، وهذا الشىء يحوى حمض النيتريك(*) ، الذى استخدمته كمحاولة لمعادلة تأثير المادة الخضراء بافتراض أنها ذات صفات قلوية حادة ، وحمدًا لله على أنها كانت كذلك ، وإلا ..

لم يتمّ عبارته ، ولكن (أكرم) سأله :

ـ وماذا كان سيحدث ، لو أن المادة الخضراء كانت حمضية التأثير .

صمت (نور) لحظة ، وارتسم على وجهه شبح ابتسامة ، بدت باهتة للغاية ، على الضوء الخافت ،

(*) حمض النيتريك - سائل لا لون له ، يتأيّن بسهولة ، وهو عامل مؤكسد قوى ، يتفاعل مع الفلزات والأكاسيد والهيدروكسيدات ، ليكوّن النترات ، ويستعمل فى صنع المتفجرات والأصباغ ، وبعض المركبات العضوية .

المنبعث من النيران المحتضرة ، فى سترة (أكرم) ، وهو يقول فى تأثر :

ـ لست أحب التفكير فى هذا الأمر .

ثم استطرد فى اهتمام ، وهو يضع الجسم الثقيل جانباً :

ـ ولنحمد الله (سبحانه وتعالى) على نجاتك ، ولكن هذا لا يعنى أن الأمر قد انتهى ، فمازلت تحتاج إلى الإسعاف ، وإلى تضميد هذه الحروق البشعة .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ ومازلنا لم ننسف ذلك الوغد بعد .

انعقد حاجبا (نور) وهو يغمغم :

ـ هذا يحيرنى فى الواقع يا (أكرم) ، فبعد كل ما فعله لعزلنا ، يحاول جديًا القضاء علينا .

هتف (أكرم) مستنكراً :

ـ لم يحاول ماذا ؟! .. كيف تبدو لك هذه الحروق إذن ؟! .. أليست محاولة قتل .

هزَّ (نور) رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- ولماذا لم يصب وجهك مباشرة ، وبكمية تكفى لقتلك ، كما فعل مع رجلى الأمن ؟!

قال (أكرم) فى حدة :

- ربما لم يجد الوقت ليفعل .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

- ربما .. أو أنه ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت من حلق (أكرم) شهقة قوية ، وهو يحدّق فى نقطة ما خلف ظهر (نور) ، الذى التفت إلى البقعة التى يحدّق فيها (أكرم) بسرعة ، ثم ارتدّ فى عنف كالمصعوق ..

فأمام عيونهما مباشرة ، وعلى آخر ضوء للسترة المحترقة ، بدا مشهد بشع ..

ورهيب .

* * *



٦ - المصيدة ..

« من (م - ١) و(م - ٢) إلى القيادة .. تمت معادلة الضغط ، ونستعد للخروج من المكوك .. » .

تلقّى قبطان المكوك هذه الرسالة ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وراقب ملاحيه (نادر) و(حميد) على الشاشة ، وهما يفتحان الباب الخارجى لحجرة معادلة الضغط ، وبدا التوتر واضحاً فى صوته ، وهو يقول :

- استخدما أنابيب الاتصال ، فكل المعدات الأخرى حبيسة فى القاع .

أجابه (نادر) :

- سنفعل أيها القبطان .. اطمئن .

رآهما الجميع على شاشات المراقبة ، وهما يسبحان فى الفضاء خارج المكوك ، ويمتد من زيهما الفضائيين خرطومان رفيعان ، ينتهيان داخل حجرة معادلة الضغط ، فأشارت إليهما (نشوى) ، متسائلة :

- ما هذا بالضبط ؟!

تنهّد القبطان فى أسف واضح ، قبل أن يجيب :

- إنها وسيلة عتيقة لمعادلة الضغط ، داخل الزى الفضائى ، عن طريق مضخة خاصة داخل المكوك .

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تقول :

- وسيلة عتيقة ؟! .. بل قل وسيلة منقرضة يارجل .. لقد درسنا هذا الأسلوب فى كتب التاريخ العلمى فحسب ، ولم أتصوّر قط أنها مازالت مستخدمة ، حتى هذه اللحظة !!

تنهّد القبطان مرة أخرى ، وأجاب :

- هذا صحيح تماماً يا سيّدتى ، فكل أزياء الفضاء الحديثة تحوى أجهزة مدمجة وفعّالة ، للحفاظ على مستوى الضغط والحرارة ، ولتمدّ رجل الفضاء بالهواء اللازم ، وبالنسب الصحيحة والصحية تماماً ، ولكن كل سفن الفضاء تحمل معها الأجهزة القديمة ، على سبيل الاحتياط ، وفى حالة حدوث أية أعطال ، أو انفجارات شمسية(*) ، وفى حالتنا هذه ، كنا - للأسف - نحتفظ

(*) الانفجارات الشمسية - تفاعلات نووية ، تحدث على سطح الشمس ، نتيجة لاندماج الذرات بعضها ببعض ، بفعل الحرارة الشديدة ، وتنطلق منها موجات قادرة على إفساد وتعطيل كل إشارات البث اللاسلكية .

بأجهزة التعادل المدمجة فى قاع المكوك ، لذا فلسنا نمتلك ، فى الوقت الحالى ، سوى هذه الأجهزة البدائية .

تدخّل (رمزى) قائلاً :

- ليس نوع الأجهزة هو المهم الآن ، فكل ما ننشده هو قطع مسار خط التحكم فى مدخل القاع ، وتزويده بجهاز تحكّم آخر .

تابع الجميع مشهد الملاحين ، وهما يسبحان فى الفضاء ، فى اتجاه النقطة المنشودة ، وغمغمت (سلوى) بصوت مرتجف :

- ساعدهما يا إلهى ، من أجل (نور) .

أضافت (مشيرة) فى عصبية :

- ومن أجل (أكرم) أيضًا .

فانعقد حاجبا القبطان ، وهو يقول فى صرامة :

- بل من أجل الجميع .

قالها لحسم الموقف ، وعاد الجميع إلى صمتهم ، وهم يتابعون حركة الملاحين ، اللذين يسبحان فى الفضاء ، بمحاذاة الجسم الخارجى للمكوك ، والتقطت أجهزة الاتصال صوت (نادر) وهو يقول :

- طبقًا للخريطة التى نحملها ، فقد وصلنا إلى الموضع المنشود بالتحديد .

أجابه القبطان فى اهتمام .

- عظيم .. تعاون مع (حميد) لقطع جزء ضئيل من سطح المكوك ، للوصول إلى مسار أسلاك التحكم ، وانقل إلينا المشهد كله ، عبر جهاز التصوير المثبت فى زيك الفضائى .

أتاه صوت الملاح ، قائلاً :

- سأفعل .

ومع آخر حروف كلمته ، حملت الشاشة صورة ذلك الجزء من سطح المكوك ، وأشعة الليزر التى أطلقها (حميد) ، لشقّ المعدن الخارجى .

واحتبست أنفاس الجميع ، وهم يتابعون هذا العمل الدقيق ..

خطوة خاطئة واحدة ، يمكن أن تؤدى إلى ثقب سقف المكوك ، وتدمير وحدة العزل الحرارى كلها ..

ولو حدث هذا ستنخفض الحرارة على نحو رهيب ،

حتى أنها قد تبلغ ثلاثمائة درجة تحت الصفر(*) ..

وهذا يعنى أن الأمر لن يقتصر على فشل مهمة الإنقاذ فحسب ..

بل وسيلقى كل من فى المكوك مصرعهم أيضًا ..

وخلال فترة قصيرة للغاية ..

ثم إنه من المحتمل أيضًا أن تنقطع أسلاك الاتصال الداخلية كلها ، و ..

ولم تكن الفكرة قد اكتملت بعد فى الأذهان ، عندما انطلق فجأة ذلك الأزيز المخيف ..

أزيز حاد متصل ، مع مصباح أحمر ، راح يضىء وينطفئ فى تعاقب مستفز ، جعل القبطان يقفز من مقعده ، هاتفًا :

- رباه ! .. أحدهم يغلق الباب الخارجى لحجرة معادلة الضغط .

قالها ، وهو يضغط عددًا من الأزرار ، فى اضطراب شديد ، فهتفت (سلوى) تسأله :

(*) حقيقة علمية

ـ هل تعنى أن شخصًا ما ، أو شيئًا ما ، يحاول منع الملاحين من العودة إلى المكوك .

صاح فى عصبية شديدة :

ـ ليت الأمر يقتصر على هذا يا سيدتى .. إننا نستخدم أسلوب معادلة الضغط والهواء التقليدى ، ولو أغلق الباب ، سيقطع الخراطيم الصغيرة ، التى تمد (نادر) و(حميد) بأسباب الحياة ، وهذا يعنى أنهما سيفقدان الهواء ، وستنخفض حرارة جسديهما إلى أقصى حد ، و ..

قاطعته (نشوى) بشهقة قوية :

ـ ويلقيان مصرعهما .. يا إلهى !! .. لابد من وجود وسيلة لمنع هذا العمل البشع .

بدا القبطان أقرب إلى الانهيار ، وهو يهتف :

ـ إننى أبذل قصارى جهدى يا سيدتى ، ولكن الباب يرفض الاستجابة لى تمامًا .. من الواضح أن شخصًا ما يتحكم فيه فى القاع .

هتفت (مشيرة) فى مرارة :

ـ القاع مرة أخرى .. أى عذاب هذا ؟!

وشهقت (سلوى) هاتفة :

ـ ماذا يحدث هنا ؟ .. ماذا يحدث ؟!

تجاهل القبطان كل هذا ، وهو يختطف جهاز الاتصال الداخلى ، ويهتف عبره فى انفعال عنيف :

ـ (نادر) .. (حميد) .. عودا إلى المكوك فورًا .. اتركا كل شىء تفعلانه ، وعودا فورًا .

قال (حميد) فى دهشة :

ـ ولكننا على وشك الـ ...

قاطعه القبطان فى غضب :

ـ لا تجادلنى يا رجل .. عودا فورًا وبلا مناقشة .. هذا أمر .

قال (رمزى) فى هذه اللحظة ، وهو يراقب الشاشات :

ـ رباه ! .. لم يعد بإمكانهما هذا .. لقد تم إغلاق الباب تقريبًا .

تراجع القبطان فى ارتياع ، وردد بعينين مذعورتين هلعتين :

ـ يا إلهى ! .. يا إلهى !

وفى نفس اللحظة تقريبًا ، هتف (نادر) ، عبر جهاز الاتصال :

- رباه !! .. ماذا يحدث يا سيّدى القبطان .. إننا نتنفّس بصعوبة ، و ..

لم يستطع المسكين إتمام عبارته ، مع ذلك الاحتقان العنيف فى وجهه ، وخرج من بين شفتيه صوت متحشرج مبحوح ، يموج بالألم والذعر ، فى حين صرخ (حميد) :

- ماذا يحدث لنا ؟! .. ما هذه البرودة العنيفة .. رباه ! .. النجدة يا قبطان ! .. النجدة !

دفن القبطان وجهه فى راحتيه ، وهو يقول فى مرارة :

- اللعنة ! .. اللعنة ! ..

أما الباقون ، فقد اتسعت عيونهم فى ارتياع ، وهم يراقبون شاشة الرصد ، التى نقلت مشهد الباب الخارجى لحجرة معادلة الضغط ، وهو يُغلق عن آخره ، ويقطع الخرطومين الرفيعين ، فى نفس اللحظة التى حملت فيها أجهزة الاتصال شهقتين قويتين مختنقتين ، أعقبهما صمت

رهيب ، وجثتا الملاحين تبتعدان على شاشة الرصد ، وتغوصان فى غياهب الفضاء المظلم ، حاملتين معهما الأمل فى إنقاذ (نور) و(أكرم) ..

آخر أمل ..

★ ★ ★

اتسعت عيون (نور) و(أكرم) فى شدة ، أمام ذلك المشهد البشع المخيف ، الذى طالعهما ، على الضوء المتراقص لآخر ألسنة النار ، فى السترة المحترقة ..

وفى ذهول ، هتف (أكرم) :

- رباه ! .. يا للبشاعة ؟

فأمام عيونهما تماماً ، كان يقف طبيب المكوك ..

أو بمعنى أدق ، ذلك الذى كان طبيباً للمكوك ..

فعلى الرغم من أن ذلك الكائن ، الواقف أمامهما ، يشبه الطبيب فى هيئته ، ويماثله فى قامته وقوامه ، إلا أنه بدا أشبه بوحش مفترس ، منه بطبيب هادئ فور رصين ، كما وصفه العاملون فى المكوك ..

كان جاحظ العينين ، مهلهل الثياب ، تبعثرت خصلات شعره الأشيب فى شدة ، وحملت نظراته جنوناً مخيفاً .

ولكن الأدهى هو تلك المادة الخضراء ، التى تسيل من طرف فمه ، وتتساقط على صدره وثيابه ، وتحرقهما على نحو بشع ، دون أن يبدو عليه أى أثر للألم أو الاهتمام ..

وقبل أن يستوعب (نور) و(أكرم) المشهد جيدًا ، انطفأت آخر شعلة فى السترة المحترقة ، وعاد الظلام يغرق المكان كله .

وفى عصبية ، هتف (أكرم) :

- هأنتذا قد رأيت خصمك يا (نور) .. دعنى أقتله إذن .

هتف به (نور) :

- انتظر .. الرجل لم يهاجمنا بعد .

صاح (أكرم) ، وهو يجذب إبرة مسدسه :

- وهل سأنتظر حتى يفعل ؟

« اقتله .. » .

انطلقت الكلمة فى المكان بغتة ، بصوت متحشرج عجيب ، لا يشبه ، بأى حال من الأحوال ، صوت (نور) أو (أكرم) ، فتجمَّد الاثنان فى مكانهما ، وغمغم (نور) فى دهشة :

- رباه ! .. إنه الطبيب .

ارتفع صوت الطبيب ثانية ، وهو يقول بنفس الصوت العجيب :

- اقتل الصغير .. اقتله الآن .. إنه ليس طفلا .. إنه شيطان .. شيطان .

انتزع (نور) سترته بسرعة ، وألقاها أرضًا ، وهو يطلق أشعة مسدسه الليزرى عليها ، فاشتعلت فيها النيران ..

وتجمدت الدماء فى عروقه ..

فعلى الضوء المنبعث من السترة المحترقة ، رأى الطبيب بهيئته البشعة ، أمامه مباشرة ..

بل يكاد يكون ملتصقًا به ، ووجهه على مسافة سنتيمترات قليلة منه ، وهو يتطلَّع إليه بعينيه الجاحظتين ، اللتين اصطبغتا بلون مائل للخضرة ، ويقول بلسانه ، الذى تسيل منه تلك المادة الخضراء المخيفة :

- لا تتردد .. اقتله .. اقتله قبل أن تفوت الفرصة ، ولا يعود بإمكانك أن تفعل .. اقتله .

حدق (نور) فى وجهه بدهشة ، واتسعت عيناه فى شيء من الارتياع ، فى حين قفز (أكرم) جانباً ، وهو يهتف مصوباً مسدسه :

- احم وجهك يا (نور) .

التفت الطبيب إلى (أكرم) فى بطء ، فى حين هتف (نور) :

- لا يا (أكرم) .. لا تفعل .

ولكن (أكرم) جذب إبرة مسدسه فى حزم ، وهو يقول فى صرامة :

- معذرة يا (نور) .. لن أطيع أوامرك هذه المرة .

اندفع (نور) نحوه هاتفًا :

- إنك لا تفهم شيئًا .. هذا الرجل ..

قاطعه صوت كالفحيح انطلق فى المكان كله ، والطبيب يتقدم نحو (أكرم) الذى دفع (نور) جانبًا وهو يصرخ :

- أنت الذى لا يفهم شيئاً .

سقط (نور) أرضاً ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها الطبيب :

اقتله .. اقتله الآن .

وضغط (أكرم) زناد مسدسه فى صرامة ..

وانطلقت الرصاصات ..

وأمام عينى (نور) المرتاعتين ، اخترقت الرصاصات رأس الطبيب وصدره وعنقه ، وتناثرت تلك المادة الخضراء فى كل مكان ، و ...

وسقط الرجل جثة هامدة ، عند قدومى (نور) ، الذى حدق فيه لحظة ، قبل أن يهتف فى غضب :

- ماذا فعلت أيها التعس ؟ .. لقد قتلته .

أعاد (أكرم) مسدسه إلى غمده ، وهو يقول فى صرامة :

- تقبل أسفى لهذا .. سأحاول التظاهر بالحزن لدقيقة أو (دقيقتين) ولكننى لن أستطيع الاستمرار لأكثر من هذا .

ثم استطرد صائحًا فى غضب :

- ماذا أصابك يا (نور) ؟! .. ماذا دهاك ؟! .. هذا الوغد قتل رجلى أمن بالفعل ، وكاد يقتلك بى أيضًا ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى كان من الممكن أن يفعله بك أيضًا .. ألا يستحق القتل ، بعد كل هذا ؟!

هتف (نور) :

- منطقك يبدو سليمًا وأنيقًا للغاية ، لولا نقطة ضعف واحدة ، يمكنها أن تهدمه كله من أساسه .. هى أن الطبيب ليس هو القاتل ، الذى نسعى خلفه .

صاح (أكرم) :

ـ ليس ماذا ؟! .. هل أصابك خلل ما يا رجل ؟! .. هل نسيت أن الجميع هناك ، ولم يكن ينقصنا ، بعد الذين لقوا مصرعهم ، سوى الطبيب وحده ؟! .. ألم تسمع ذلك الفحيح المخيف بنفسك ، قبل أن أطلق عليه النار ؟! .. سل نفسك سؤالًا واحدًا يحسم الأمر يا (نور) .. لو أن الطبيب ليس هدفنا ، فمن يكون الهدف ؟!

هزَّ (نور) رأسه فى ألم ، وهو يقول :

ـ إنه ليس القاتل يا (أكرم) .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وأعاد مسدسه إلى حزامه ، والنيران تخبو رويدًا رويدًا ، وهو يقول :

ـ أنت وشأنك يا (نور) .. قل ما يحلو لك ، ولكننى واثق من أن الطبيب هو الخصم الذى نبحث عنه ، وأن موته يضع نهاية حاسمة للمشكلة كلها .

لم يكد ينطق كلمته الأخيرة ، حتى خبت النيران تمامًا ، وعاد الظلام الدامس يطبق على المكان ، ومع عودته ، انتشر فى المكان صوت يأتى من بعيد ..

صوت فحيح ..

فحيح قاتل مجهول ..

★ ★ ★

لم يشعر (أكرم) فى حياته كلها بالتوتر ، مثلما شعر به فى تلك اللحظة ، وهو يقف سجينًا فى الظلام الدامس ، وفحيح القاتل يتردَّد حوله ، ودخان مسدسه لم يتلاش بعد من حوله ، وجثة الطبيب عند قدميه ، فقال فى عصبية :

ـ الآن فقط أدركت شعور الفأر ، عندما يقع فى المصيدة .

لم يعلِّق (نور) على عبارته ، على الرغم من أنه يشعر بأضعاف توتره ، وراح يتلفت حوله فى شىء من القلق والعصبية ، محاولًا تحديد الموضع ، الذى ينطلق منه الفحيح ، ولكن الصمت أطبق عليهما من كل جانب ، كما لو أن الدنيا قد تحوَّلت بغتة إلى قطعة من العدم ، مما ضاعف من قلقهما وتوترهما ، فغمغم (أكرم) :

ـ إنه يعبث بنا

قال (نور) فى سرعة :

ـ لماذا ؟!

كاد (أكرم) يخترق حجب الظلام ببصره ، ليحدِّق فيه ، قائلًا فى دهشة :

ـ لماذا ماذا ؟!

أجابه (نور) فى توتر شديد :

ـ لماذا يكتفى بالعبث معنا ، دون أن يسعى لقتلنا مباشرة ؟

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ هل سمعت من قبل عن لعبة القط والفأر ؟ .. ذلك الوغد يعبث بنا ، ويلهو بإخافتنا وبث الذعر فى نفوسنا ، حتى يدمر أعصابنا ، قبل أن يسحقنا دفعة واحدة ، أو يغرقنا بتلك المادة اللعينة !

انتقل توتر (نور) إلى صوته ، وهو يقول :

ـ ألا يمكنك أن تنطق عبارة واحدة ، دون أن تضيف إليها الشتائم واللعنات ؟

سأله (أكرم) فى غضب :

ـ وهل يصنع هذا فارقاً ، فى ظروفنا هذه ؟

صاح به (نور) :

ـ وهل من الضرورى أن تفعله ؟!

همَّ (أكرم) بالصياح مرة أخرى ، لولا أنه انبعث الفحيح فجأة ، على قيد بضعة أمتار إلى يساره ، فالتفت إلى مصدره فى حركة حادة ، وهتف :

ـ إنه هنا .

انعقد حاجبا (نور) وهو يقول :

ـ احترس .. ربما كان ..

ولكن (أكرم) لم ينتظر ليسمع عبارته ، وإنما انطلق فجأة نحو مصدر الصوت ، وهو يقول فى حماس :

ـ لقد حدّدت موضعه .

هتف (نور) :

ـ رباه ! .. لا تفعل يا رجل .. إياك أن تتبع الفحيح .

ولكن (أكرم) كان يموج بالانفعال ، حتى أنه تجاهل تحذير (نور) تماماً ، وهو يندفع خلف الفحيح ، الذى انطلق للمرة الثانية ، ووثب لمترين كاملين ، محاولاً بلوغ مصدره ، وهو يشهر مسدسه ، و ...

وفجأة ، سطعت الأضواء كلها فى المكان ..

ومع الضوء الساطع المباغت ، أخفى (أكرم) عينيه المبهورتين ، وهو يهتف :

ـ اللعنة ! .. ما الذى ..

قبل أن يتم عبارته ، انتبه فجأة إلى صوت خافت من خلفه ، فاستدار إلى مصدره بسرعة ، ورأى (نور) يعدو نحوه ، صائحًا فى ارتياع :

وفى الحجرة المحدودة ، انطلقت فرقعة مخيفة ..

- رباه ! .. كنت أخشى هذا .. كنت أخشاه .

ومع صيحة (نور) ، اتسعت عينا (أكرم) فى شىء من الذعر والتوتر ، وهما تحدقان فى ذلك الباب ، الذى يتحرّك فى سرعة ، ليحول بينه وبين (نور) ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، ومع انغلاق الباب تمامًا ، أدرك (أكرم) طبيعة الفخ ، الذى قاده إليه القاتل المجهول ..

ولكن إدراكه هذا جاء بعد فوات الأوان ..

ففى نفس اللحظة ، التى حدّد فيها موقفه ، بدأ الباب المقابل ينفتح فى بطء ، ومن خلفه ، بدا الفضاء الخارجى واضحًا ، بظلامه ذى النجوم المتناثرة ..

وتعلّقت عينا (أكرم) بعبارة بارزة على الجدار ، تقول : « حجرة الدفع الخارجى » .

وفى الحجرة المحدودة ، انطلقت فرقعة مخيفة ..

فرقعة تعنى أن الضغط ينخفض بشدة ..

وأن كل ما فى الحجرة سيتم دفعه بمنتهى القسوة إلى الفضاء الخارجى ، بلا أدنى استثناء .. أو رحمة .

* * *

٧ - بلا رحمة ..

« لابد من وجود حل .. » .

ردّدت (نشوى) العبارة فى توتر بلا حدود ، وهى تدور فى الحجرة كالمجنونة ، فى حين تركت (سلوى) دموعها تنساب على وجنتيها ، وهى تجلس فى الركن ، محاولة اعتصار ذهنها ، للتوصُّل إلى حل للمشكلة ، وانفجرت (مشيرة) باكية فى الركن الآخر ، وراح (رمزى) يقول فى عصبية :

- مهما كان ما يحدث هنا ، فلا ينبغى له أن يوقفنا عن التفكير قط .. لقد اعتدنا مع (نور) على ألا نستسلم لليأس قط ، مهما كانت الظروف والمحبطات من حولنا ، وأنه هناك حتمًا حل لكل مشكلة ، مهما بدت شديدة التعقيد ، ثم إنه سبق لنا أن نجونا من مآزق أكثر صعوبة ودقة .

قال القبطان فى سخط يائس :

- حسن .. ها هوذا الموقف أمامكم .. أعفونا من سماع بطولاتكم السابقة ، وأخبرونا ما الذى يمكن عمله ، لفتح ذلك المدخل .

أجابته (سلوى) فجأة فى حزم :

- الكثير .

ثم التفتت إلى ابنتها (نشوى) ، وقالت فى حماس مفاجئ :

- (نشوى) ، هل يمكنك دخول البرنامج الأساسى للمكوك ؟

أجابتها (نشوى) بنفس الحماس ، وكأنما انتقلت عدواه إليها بغتة :

- بالطبع .. أنسيت أنى خبيرة كمبيوتر من الطراز الأوّل ؟

ثم نهضت إلى الكمبيوتر ، فقال القبطان بشىء من التوتر :

- الدخول إلى البرنامج الأساسى للمكوك محظور ، ومستحيل تمامًا ، فهو يحوى كل المعلومات الأساسية لتشغيله ، وهذا يعدّ أحد الأسرار العلمية .

أجابته (نشوى) ، وأصابعها تتحرّك على الأزرار فى سرعة :

- لا تقلق نفسك بهذا الشأن ، واترك لى المهمة .

راقبها الجميع فى قلق ، وهى تواصل مهمتها ، وتملأ الشاشة بالمعلومات ، حتى انبعث الصوت الإليكترونى للكمبيوتر ، قائلاً :

- حدّد كلمة السر للدخول إلى البرنامج الأساسى .. تحذير.. محاولة الدخول غير مسموح بها إلا لأفراد وحدة الأمن الخاصة .

وهنا ، قال القبطان فى عصبية :

- لابد من إعطائه كلمة السر الأساسية ، وإلا فهو يقوم بمحو برنامجه كله ، تطبيقًا لتعليمات الأمن .

أجابته (نشوى) ، وهى تواصل عملها فى حماس :

- اطمئن .. لن يفعل هذا .

قال فى حدة :

- وما الذى يجعلك واثقة هكذا ؟

أجابته بسرعة :

- لأننى واحدة من مبرمجى هذه البرامج الأمنية الخاصة ، وأعلم جيدًا أننا نضع خطوة احتياطية ضرورية ، لمنع التسرّع بمحو المعلومات الأساسية ، عند

حدوث خطأ عفوى ، فالبرنامج يمنحك فرصة أو فرصتين للخطأ غير المقصود ، ثم ينتقل إلى برنامج التدمير الذاتى ، إذا ما تواصل الإصرار على الخطأ .

سألها فى مزيج من الدهشة والعصبية :

- وهل يمكنك التوصُّل إلى كلمة سر من ثمانية رموز ، بعد محاولتين فحسب ؟

أجابته فى حسم :

- كلا بالطبع ، إننى أحتاج إلى عشرة أخطاء على الأقل ، قبل أن أتوصَّل إلى الشفرة ، باستخدام برنامج خاص ، يندرج تحت قائمة السرية المطلقة ، وكل ما أفعله الآن هو أننى أضيف برنامجًا أمنيًا جديدًا ، يضاعف فرصة الخطأ سبع مرات ، أى أن الكمبيوتر سيمنحنى الحق فى أربعة عشر خطأ ، قبل أن ينتقل إلى مرحلة التدمير الذاتى .

فغر القبطان فاه ، قائلاً :

- بهذه البساطة !

أجابته (سلوى) فى شىء من الفخر :

- الأمر ليس سهلاً على الإطلاق .. إنه بالغ الصعوبة

والتعقيد ، إلى درجة لا يمكن تصورها ، ولكن ابنتى خبيرة فى مجالها .

حدّق القبطان فى (نشوى) فى دهشة ، وهى تواصل عملها لثلاث دقائق أخرى ، قبل أن تعتدل ، قائلة فى حسم :

- نحن داخل البرنامج الرئيسى الآن .

قفز القبطان من مقعده ، هاتفًا :

- مستحيل !

قال (رمزى) فى حزم :

- ألم أقل لك أيها القبطان ؟! .. فريقنا لا يؤمن بالمستحيل !

وانتقلت (سلوى) بسرعة إلى جوار (نشوى) ، قائلة :

- والآن ابحثى فى البرنامج الأساسى عن ذبذبة التوصيلات ، فى الكابلات الرئيسية ، وبالذات حول ذلك المدخل .

ضربت (نشوى) الأزرار بأصابعها ، وهى تقول :

- ليست هناك أية مشكلة .. إنها معلومات أساسية .

تراصت الأرقام على الشاشة فى سرعة ، وراحت (سلوى) تراجعها فى اهتمام ، قبل أن تشير إليها ، قائلة .

- لا بأس .. هنا ينتهى دورك ، ويحين دورى أنا .

أفسحت لها (نشوى) المجال على الفور ، فجلست (سلوى) أمام الشاشة ، وراحت تضرب على الأزرار ، والقبطان يراقبها فى دهشة ، قبل أن يسأل :

ما هذا بالضبط ؟! .. ما الذى تفعلينه يا سيدتى ؟! .. إنك توصلين بعض الأجهزة ببعضها ، دون رابط محدود .. ما شأن جهاز تنقية الهواء (بالميكروويف) فى المطبخ ؟ وما علاقتهما معًا بشفّاط التنظيف ؟

تجاهلت (سلوى) سؤاله تمامًا ، فى حين قال (رمزى) فى حزم :

- اتركها تعمل أيها القبطان .. إنه مجال تخصصها .

سأله القبطان فى حدة :

- أى تخصص هذا ؟ .. خلط الأمور بعضها بالبعض .

أجابه فى صرامة :

بل الاتصالات والذبذبة .. إنها تسعى لتوليد ذبذبة

خاصة ، يمكنها من خلالها استعادة السيطرة على المدخل من هنا .

هتف القبطان مستنكرًا :

- عن طريق شفاط و(ميكروويف) وجهاز تنقية هواء ؟

أجابه (رمزى) :

- بالتأكيد .. هذا هو الفارق بين الهواة والخبراء .

هتف القبطان معترضًا :

- ولكن هذا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، أضىء فجأة مصباح صغير فى سقف المكان ، فاتسعت عيون الجميع فى ارتياع ، وهتف (رمزى) :

- رباه ! .. غرفة الدفع .

وعلى الرغم من أنه لم يكن بإمكانها قط أن ترى ما يحدث هناك فى حجرة الدفع الفضائى ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقها جعل (مشيرة) تنتفض فى عنف شديد ، وتهبّ من مقعدها مذعورة ، وصورة (أكرم) تملأ كيانها كله ..

ثم انطلقت من حلقها صرخة ..

صرخة كانت تعنى الكثير ..

والكثير جدًا ...

* * *

لم تكد تلك الفرقعة المخيفة تنطلق ، حتى وثب (أكرم) بحركة دفعته إليها تلك الغريزة الكامنة فى أعماق كل كائن حى ، والمعروفة باسم غريزة البقاء وتشبّث بقائم معدنى فى جدار حجرة الدفع الفضائى ، التى انفتح بابها فى بطء ، وراح الضغط والهواء ينخفضان داخلها فى سرعة ، وقوة هائلة تجذب (أكرم) فى عنف ، محاولة دفعه خارج المكوك ، إلى الفضاء الخارجى المخيف ..

ولا ريب فى أن (أكرم) قد بذل جهداً هائلاً بحق ..

جهداً يفوق - بلا شك - طاقة أى بشرى عادى ، وهو يتشبّث بالقائم المعدنى بكل قوته ، وصدره يكاد ينفجر ، فى انخفاض الهواء ، ووجهه يحتقن بشدة ، مع التدنى السريع والشديد فى الضغط والحرارة ..

ولكنه كان ، وعلى الرغم من كل هذا ، جهداً يائساً ..

جهد رجل يدرك جيدًا أنه يقاتل فى معركة يائسة ..
معركة لا ينتصر فيها عادة إلا ظافر واحد ، لم يخسر قتالًا أو حربًا منذ الأزل ..
الموت ..
فما هى إلا لحظات معدودة ، وينفجر صدره ووجهه مع انخفاض الضغط ، أو تتجمَّد أطرافه حتى تتهشم(*) ، أو تنطبق رئتاه من نقص الهواء ..
المهم ، ومهما كانت الأسباب ، أنه سيلقى مصرعه فى النهاية ..
وهذه النهاية ستأتى بعد لحظات معدودة ..
ومحدودة ..
أما (نور) فقد أصابه ارتياع عنيف بالخارج ..
لقد رأى زميله داخل حجرة الدفع الفضائى ، التى أغلقت عليه تمامًا ، وأعلن مصباحها أن بابها الخارجى يتم فتحه ، استعدادًا للفظ كل ما تحويه إلى الظلام الدامس البارد اللا نهائى .
ولم تكن هناك وسيلة واحدة لتفادى هذا ..

(*) البرودة الشديدة تجعل الأجسام قابلة للكسر ، مهما بلغت صلابتها .

لقد ضغط (نور) زر الإيقاف أكثر من مرة ..
ولكنه لم يستجب قط ..
كان من الواضح أن شخصًا ما ، أو شيئًا ما قد سيطر على عمليات التحكم تمامًا ، من نقطة مجهولة ، فى مكان ما من قاع المكوك ..
وأن ذلك الشخص ، أو ذلك الشىء ، قد قرَّر الوصول إلى هدف واحد ..
القضاء على الجميع ..
وبلا رحمة ..
ولأوَّل مرة فى حياته كلها ، انهارت مشاعر (نور) ..
لقد كان الموقف يفوق احتماله بالفعل ، خاصة وهو يشعر بكل هذا العجز ، وصديقه يلقى مصرعه على قيد خطوات معدودة منه ، وذلك الفحيح المخيف يتردَّد حوله ، وكأنما ينبعث فى كل الدنيا ..
وبكل الإحباط والقهر والمرارة والسخط فى أعماقه ، صرخ :
ـ كفى .. كفاك ما تفعل بنا .. كفى .

حملت صرخته كل ما تموج به نفسه من مشاعر وأحاسيس وانفعالات ، وردّدتها جدران المكان كله ، وامتزجت بالفحيح الرهيب ، و ...

وفجأة ، حدثت المعجزة ..

وأضيء مصباح أخضر فوق الباب الداخلى لحجرة الدفع الفضائى ..

وكان هذا يعنى حدوث تغيير جوهرى ..

وحاسم ..

ومن المؤكد أن أكثر شخص شعر بهذا التغيير هو (أكرم) نفسه ..

لقد انهارت مقاومته أو كادت ، وتجمّدت أطرافه ، وشارف صدره على الانفجار ، حتى أنه هتف فى أعماقه :

- وداعًا أيتها الحياة .. وداعًا يا (مشيرة) .. سامحينى يا حبيبتى .. كنت أتمنى أن أحيا إلى جوارك لفترة أطول ، ولكن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، بدأ ذلك التغيير بغتة ..

لقد انطلق أزيز متصل عنيف ، امتزج بصرير مخيف ، و ..

وانهارت مقاومة (أكرم) تمامًا ..

ومع انهيارها ، أفلتت يده ذلك القائم المعدنى، الذى تشبّث به طويلًا ..

وسقط جسده ..

جذبته قوة التخلخل الرهيبة نحو المدخل الخارجى لحجرة التفريغ الفضائى ، فطار جسده عبرها ، واتجه نحو الفراغ المميت ..

ثم حدث الارتطام ..

ارتطم بغتة بالباب فى عنف ، وأطلق شهقة قوية ، كاد يلفظ معها أنفاسه الأخيرة ، قبل أن يبدأ عمل أجهزة التكييف ، ويرتفع الضغط ودرجة الحرارة ، ويسقط جسده أرضًا ، وهو يلهث بشدة ، مع عودة الهواء إلى المكان ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط انتبه إلى أن الباب الخارجى لحجرة الدفع الفضائى قد عاد إلى موضعه ..

وأن بابها الداخلى انفتح على التو ..

وفى تهالك ، رأى (نور) يندفع نحوه ، هاتفًا :

- (أكرم) !.. يا إلهى !.. حمدًا لله .. أنت حى .. حى .

كان يريد أن يتحدث ..
أن ينطق شيئا ..
أى شىء ..
ولكن عجز عن هذا تمامًا ..
وفى توتر شديد ، راح (نور) يدلك أطرافه فى سرعة ، قائلا :
ـ رباه ! .. أطرافك باردة كالثلج .. أنت تحتاج إلى إسعاف عاجل .
كاد يهتف ساخرًا :
ـ ألم تملّ ترديد تلك العبارة يا (نور) ؟
ولكن هتافه هذا ظلّ فى أعماقه ، دون أن يتجاوزها ، وإن حملت شفتاه ابتسامة باهتة متهالكة ، لم تكد تولد ، حتى وأدتها آلامه ، التى تجاوزت كل الحدود التى عايشها من قبل ، فى حياته كلها ..
لم يكن يفهم ما الذى حدث بالضبط ؟! ..
لماذا تم إغلاق الباب الخارجى ، فى اللحظة الأخيرة ؟!..
وكيف ؟! ..

ولم يكن يعنيه أن يفهم ؟! ..
المهم أنه نجا من ذلك المصير البشع ..
مؤقتًا على الأقل ..
وفى قوة ، راح (نور) يجذبه إلى خارج الحجرة ، وهو يهتف فى توتر بالغ :
ـ هل تسمعوننى بالخارج ؟! .. هل يمكنكم سماعنا أم لا ؟
كان يلقى عبارته ، دون أدنى أمل فى جواب شاف ، إلا أنه فوجئ بصوت (سلوى) ، يتردّد فى المكان كله ، وهى تقول فى انفعال :
ـ يا إلهى ! .. (نور) و(أكرم) .. إنكما على قيد الحياة .. حمدًا لله ! .. حمدًا لله .
خفق قلبه فى قوة ، وهو يهتف فى لهفة :
ـ (سلوى) .. هل تسمعيننى ؟ .. هل ترييننا ؟!
أتاه صوت ابنته (نشوى) ، عبر أجهزة الاتصال الداخلية ، وهى تهتف فى حماس :
ـ نعم يا أبى .. إننا نراك .. كل شىء تم إصلاحه .. لقد تصرّفت أمى بعبقرية فذّة ، واستعادت التحكم فى كل شىء .. كل شىء .

لم تكن عبارتها قد انتهت بعد ، عندما انفتح المدخل ، واندفع ثلاثة من رجال أمن المكوك عبره ، وهم يحملون مدافعهم الليزرية ، وانتشروا فى المكان بسرعة ، وخلفهم القبطان يقول بلهجته الآمرة الصارمة :

ـ فتشوا المكان كله .. لا تتركوا شبرًا واحدًا دون أن تمنحونى تقريرًا وافيًا عن كل ما فيه .

ثم اندفع نحو (نور) و(أكرم) ، مستطردًا فى لهفة :

أأنتما بخير ؟! .. أين رجلا الأمن ؟ وأين الـ ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى وقع بصره على جثة أحد رجلى الأمن ، فاتسعت عيناه فى ارتياع ، وهتف :

ـ رباه ! .. ماذا حدث هنا ؟!

هتف به (نور) فى توتر بالغ :

ـ سنشرح لك كل شىء فيما بعد ، أما الآن ، فأرسل فى طلب من يعاوننى على إسعاف زميلى .. لقد تعرّض لتجربة رهيبة ، كادت تودى بحياته ، ونجا منها بما يشبه المعجزة .

بدا الهلع على وجه القبطان ، وهمّ بالاتصال ببعض رجال طاقمه ، عندما ارتفع صوت يقول فى حزم :

ـ اترك لى هذه المهمة يا (نور) .

أدار (أكرم) عينيه إلى (رمزى) فى تهالك ، فى حين سأله (نور) فى توتر :

ـ أتعتقد أنه بإمكانك القيام بهذا ؟

انحنى (رمزى) يفحص (أكرم) ، قائلا :

ـ أنسيت أننى طبيب ؟!

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

ـ ربّاه ! .. حالته سيئة بحق .. لابد أن نعيد الدفء إلى جسده بأقصى سرعة ، وإلا أدى القصور فى دورته الدموية الطرفية إلى مضاعفات بالغة الخطورة .

سأله القبطان فى لهفة :

ـ وما الذى يمكننا فعله فى هذا الشأن ؟

أشار إليه (رمزى) قائلا :

ـ مُرْ رجالك بإعداد حوض من الماء الدافئ ، وبأقصى سرعة .

ألقى القبطان الأمر إلى رجال طاقمه على الفور ، ثم سأل (نور) :

- هل عثرتما على الطبيب والطفل ؟

أشاح (نور) بوجهه فى مرارة ، وهو يقول :

- الطبيب لقى مصرعه ، وستجد جثته بالقرب من هنا ، ولكننا لم نعثر على الطفل بعد ، وهناك شىء ما هنا ، هو المسئول عن كل ما حدث .

سأله القبطان فى توتر منفعل :

- شىء مثل ماذا ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يغمغم :

- لست أدرى .. لا يمكننى الجزم بأى شىء .

انعقد حاجبا القبطان ، وهو يقول فى عصبية :

- ينبغى أن نعرف ما الذى يتوقّع الرجال العثور عليه هنا ؟

انفرجت شفتا (نور) وهمّ بقول شىء ما ، عندما اندفع أحد رجال الأمن إلى المكان ، قائلا :

- سيّدى .. لقد عثرنا عليه .

هتف القبطان فى لهفة :

- ذلك الشىء ؟!

هزّ رجل الأمن رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- كلاً يا سيّدى .. كنت أقصد الطفل .. الطفل المختطف .

قالها وصوته يحمل انفعالا عجيبًا ..

انفعالاً يجمع ما بين التوتر والضيق .. والخوف .. كثير من الخوف ..

★ ★ ★

اتسعت عينا (نشوى) ، وسرت فى عروقها قشعريرة باردة كالثلج ، وانتفض قلبها فى عنف ، وهى تحدّق فى ابنها للمرة الأولى ..

كان (رمزى) قد شرح لها ما ستراه بالضبط ، فى محاولة للتخفيف من أثر الصدمة ، إلا أن الاستماع إلى التفاصيل شىء ، ورؤية الطفل رأى العين شىء آخر ..

لقد كانت تعلم أنه يمتلك بشرة خضراء ، ولكن عقلها حاول أن يخدعها ، وأن يقنعها بأن الآخرين يبالغون فى وصف ابنها ، وفى إضفاء سمات غير طبيعية عليه ..

ولكنها الآن تراه ..

وتعلم أنهم لم يبالغوا أبدًا ..

لقد وصفوا فقط ما رأوه ..

وبكل دقة ..

ولكن المثير أنها ، وعلى الرغم من دهشتها وانزعاجها ، لم تشعر بذرة واحدة من الخوف ، وهى تتطلّع إليه ..

بل على العكس ، لقد فاضت مشاعرها نحوه ، وغمر العطف والحنان قلبها ، وهى تتطلّع إليه ، شأن أى أم ترى وليدها الأوّل ..

وبكل ما يغمر أعماقها من مشاعر وانفعالات ، همست :

ـ قرّ عينًا يا حبيبى .. لقد عدت إلى والديك ، وستبقى معهما إلى الأبد بإذن الله (العلى القدير) .

قالتها ، وهى تمدّ يدها لتتحسّسه فى رفق ، إلا أن (رمزى) قبض على معصمها فى قوة ، ليمنعها من لمسه ، وهو يقول :

ـ معذرة يا حبيبتى ، ولكن لا يمكننى أبدًا أن أسمح لك بهذا .

هتفت فى حدة :

ـ ولكنه ابنى .

أجابها فى رفق ، محاولًا تهدئتها :

ـ لا أحد ينكر هذا ، أو يمكن أن ينكره ، ولكننا أمام حالة عجيبة ، تحتاج منا إلى كل الحذر والعناية والدقة ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، كيف يمكن أن تكون عواقب أية خطوة عشوائية غير مدروسة .

قالت فى غضب :

ـ وما الذى يمكن أن يحدث ، إذا ما لمست الأم ابنها ؟

قال ، وهو يحتضنها فى تعاطف وتفهُّم :

ـ ليتنا نعلم ما يمكن أن يحدث .. لو أننا عرفنا لما كانت هناك مشكلة .. المشكلة الحقيقية هى أننا نجهل كل شىء تقريبًا عن ابننا وما أصابه ، ثم إن لدينا حالة غامضة ، أصيب خلالها الطبيب (رحمه الله) بما يشبه العدوى ، وتحوّل بدوره إلى شىء مخيف .. لقد حاولت تحليل دمه ، ولكننى لم أجد فى عروقه سوى تلك المادة الخضراء .

بدأ القلق يتسلّل إلى نفسها ، وهى تقول :

- ربما أصابته العدوى من المشيمة ، التى انفجرت فى وجه ممرضته .

أومأ برأسه موافقًا ، قبل أن يقول :

- حتى لو افترضنا أن هذا ما أصابه ، وأن العدوى لم تنتقل إليه عندما حمل الطفل من مهده ، وهبط به إلى قاع المكوك ، فالنتائج واحدة فى الحالتين ، وهى أنه أصيب بالعدوى بسبب تلك المادة الخضراء الغامضة ، التى تجرى فى عروق ابننا مجرى الدم .. أليس كذلك ؟

حدقت فى وجهه لحظة ، ثم لم تلبث أن ألقت نفسها بين ذراعيه ، وانفجرت باكية فى حرارة ، وهى تهتف :

- لماذا يحدث لنا هذا يا (رمزى) ؟! .. لماذا ابننا دون أطفال الأرض جميعً ؟

أجابها فى حنان ، وهو يضمها إليه فى رفق :

- لأن ابننا يختلف عنهم جميعًا يا (نشوى) .. لقد أنجبته أم ذات سمات خاصة ، نمت بأسلوب صناعى مجهول(*) ، وحملته فى رحمها على كوكب آخر ،

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢)

وتعرضت قبيل مولده إلى تجربة رهيبة ، أثرت حتمًا فى تكوينها أو تكوينه(*) ، فما الذى تتوقعينه من كل هذا ؟!

بكت أكثر ، هاتفة :

- لم أعد أحتمل يا (رمزى) .. لقد قاسيت الكثير والكثير .. لماذا أنا دائمًا ؟! .. لماذا ابنى ؟! .. لماذا ؟

تنهّد ، قائلا :

- إنه قدرك يا (نشوى) .. قدركِ وقدرى يا حبيبتى ، والإنسان لا يمكنه ، ولا يستطيع اختيار قدره ، أو حتى الاعتراض عليه .. نحن لا نملك هذا .. كل ما نملكه هو أن نردد دعاءً واحدًا .. اللهم إنى لا أسألك رد القضاء ، ولكنى أسألك اللطف فيه .

قالها ، وهو يقودها فى رفق إلى خارج الحجرة الطبية ، التى يرقد فيها الصغير ، فسألته منزعجة :

- هل سنتركه وحده ؟

ربّت عليها فى حنان ، مجيبًا :

- اطمئنى يا حبيبتى .. اطمئنى تمامًا .. إنه داخل

(*) راجع قصة (بلا أثر) .. المغامرة رقم (١٠٦) .



وألقت نظرة أخيرة على الطفل ، قبل أن تُغلق الباب خلفها فى حرص ، وكأنها تخشى أن تزعجه ..

حضانة خاصة ، تمنحه الماء والغذاء على نحو علمى منتظم ، وتقوم بفحص دمه كل ساعة .. أعنى تلك المادة الخضراء ، التى تسرى فى عروقه ، وتسجِّل كل النتائج على أسطوانات مدمجة أوّلاً فأوّلاً ، ولسنا نملك مانفعله له .

سألته متوترة :

ـ وماذا عن أمنه ؟

أجاب على الفور :

ـ هناك اثنان من رجال أمن المكوك ، يقومان على حراسة المكان طوال الوقت ، وما هى إلا أيام ثلاثة ، ونصل إلى الأرض ، حيث يقوم العلماء المتخصصون بفحصه والتعامل مع حالته .

غمرت الدموع وجهها ، وهى تخرج مع (رمزى) من الحجرة ، وألقت نظرة أخيرة على الطفل ، قبل أن تُغلق الباب خلفها فى حرص ، وكأنها تخشى أن تزعجه ..

ولثانية أو ثانيتين ، ران صمت مطبق على الحجرة ، بعد انصرافها مع زوجها ..

ثم فجأة ، انبعث صوت مخيف .

صوت فحيح متصل .

★ ★ ★

٨ - إلى الأرض ..

انعقد حاجبا (نور) فى توتر عنيف ، وهو يقول لقائد فريق الأمن فى حدة :

- ماذا تعنى بأنكم لم تعثروا على أى شىء فى القاع ؟! .. هناك شىء ما حتمًا ، وإلا فكيف تفسّر كل ما حدث ؟!

أجابه الرجل فى صرامة :

- التفسير مهمتك أنت ، وليس مهمتى أنا يا رجل المخابرات العلمية .. لقد طلب منا القبطان تفتيش القاع ، فقمنا بعملنا خير قيام ، وعلى أكمل وجه ، ولم نعثر على أى شىء ، وهذا كل ما لدينا .. خذه ، وادرسه ، وفسره ، أو ألقه خلف ظهرك ، ولكنك لن تجد لدينا سواه .

تطلّع إليه (نور) لحظة فى صمت ، قبل أن يميل نحوه ، ويقول فى لهجة شديدة الحزم والصرامة :

- أرهف سمعك ، وأنصت إلىّ جيدًا يا رجل .. بمقتضى كل القوانين والأعراف ، التى تحكم السفر عبر الفضاء ، فإننى أمتلك السلطة الكافية للإمساك بزمام

الأمور هنا ، من الناحية الأمنية بالتحديد ، وهذا يعنى أنك ، ومهما بلغت رتبتك ، مضطر لطاعة أوامرى تمامًا ، ودون أية مناقشات أو اعتراضات ، حتى يصل المكوك إلى الأرض ، وبعدها تتولى المخابرات العلمية الأمر كله ، فتخضع أنت وأنا لسلطتها ، حتى يتم كشف الغموض المحيط بالموقف .. ولو أردت توضيحًا أكثر ، فأنت ، وبكل بساطة ، لا تملك مجرّد الحق فى مناقشتى ، ولو بحرف واحد ، وإنما عليك تنفيذ كل أوامرى ، وفورًا ، وإلا جرّدتك من رتبتك ، وحاكمتك بتهمة الخيانة العظمى ، خلال فترة طوارئ قصوى ، وكلانا يعلم أن عقوبة مثل هذه التهمة يمكن أن تصل إلى الإعدام .. هل يبدو حديثى واضحًا ، أم أنه يحتاج إلى مزيد من التفسير ؟!

احتقن وجه الرجل ، وظلّ يتطلّع إليه صامتًا ، فكرّر (نور) فى صرامة عنيفة :

- ما جوابك يا رجل ؟

أجابه الرجل فى عصبية واضحة :

- أنا أدرك القانون جيدًا ، ورجالى كذلك يدركونه ،

ولكنهم أدوا عملهم على خير وجه ، ولا أحد يمكنه ادعاء العكس .. لقد فتشوا بالفعل كل شبر من قاع المكوك ، وفحصوا الأرضيات والجدران ، حتى لقد كادوا يفحصون الثقوب الصغيرة والشقوق الرفيعة بين الجدران والمعدات هناك ، فما الذى تنتظر منهم فعله أكثر من هذا ؟

كانت الحيرة تملأ (نور) عن آخره ، وهو يستمع إلى هذا القول ، ولكنها لم تلبث أن امتزجت بتوتر شديد ، واضطراب عنيف ، كاد يعصف بنفسه من الداخل ، على الرغم من محافظته على هيئته الصارمة ، ومظهره المتماسك ، وانطلقت نفس التساؤلات المخيفة تعربد فى أعماقه ؟!

ما طبيعة عدوهم بالضبط ؟!

من أين يأتى ؟! ..

وكيف ؟!

ترى أهو ....؟!

لم يستطع إتمام تساؤله الأخير ، عندما ارتجّ المكوك بغتة فى عنف ، وعادت صفارات الإنذار تنطلق داخله فى

تتابع مثير للأعصاب ، فهتف رجل الأمن فى عصبية شديدة :

ـ رباه ! .. ما الذى حدث هذه المرة ؟

استلّ (نور) مسدسه ، وهو يهتف :

ـ دعنا نر بأنفسنا يا رجل .

انطلقا يعدوان معًا ، عبر ممرات المكوك ، وقابلهما القبطان فى منتصف المسافة ، وهو يخرج من حجرته الخاصة ، قائلًا :

ـ إنها غرفة القيادة .. أسرع يا (نور) .. أسرعوا جميعًا بالله عليكم .

اندفع الكل بأقصى سرعتهم نحو حجرة القيادة ، ودفع القبطان بابها ، وهو يهتف بالملاحين اللذين يتوليان إدارتها :

ـ ماذا حدث عندكما ؟! .. هل ...

وبتر عبارته بغتة ، وهو يهتف فى شحوب شديد :

ـ رباه ! .. يا إلهى ! .. يا إلهى !

هتف به (نور) :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟

حاول الرجل أن يدفع الباب مرة ثانية ، وهو يقول فى انزعاج :

- الباب مغلق فى إحكام ، ورتاجه يرفض الاستجابة تمامًا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- لا .. ليس ثانية .

وتعاون مع قائد فريق الأمن ، واثنين من رجاله ، فى محاولة لفتح باب حجرة القيادة ، أو التعامل مع رتاجه ، دون جدوى ، فتراجع (نور) ، قائلًا فى حزم :

- ابتعدوا .

قالها ، وهو يصوِّب مسدسه إلى الرتاج ، فتراجع الجميع فى سرعة وتخبُّط ، قبل أن تنطلق من مسدسه خيوط الأشعة ، وتتفجَّر عند الرتاج ، وتنسفه نسفًا ..

وقبل حتى أن يتلاشى الدخان ، دفع (نور) باب حجرة القيادة فى قوة ، ووثب داخلها ، وهو يشهر مسدسه ، و ...

« يا للبشاعة !! ... » ..

انطلقت الكلمة من بين شفتى رئيس فريق الأمن ، وهو

يتراجع بحركة حادة ، فى حين اتسعت عينا القبطان فى ارتياع ، وانعقد حاجبا (نور) ، وغمغم فى عصبية :

- رباه ! .. ألن ينتهى هذا الكابوس أبداً ؟!

فأمامهم جميعاً ، وفى منتصف حجرة القيادة بالضبط ، سقط الملاحان المسئولان عن قيادة المكوك ، وقد التهمت تلك المادة الخضراء أجزاء كبيرة من وجهيهما وصدريهما ، وراحت تتصاعد منهما أبخرة صفراء باهتة ..

ولثوان ، لم ينبس (نور) أو القبطان ، أو رجال الأمن بحرف واحد ، وهم يحدقون فى ذلك المشهد البشع ، حتى اندفع (رمزى) إلى الحجرة ، وهو يهتف :

- ماذا حدث ؟!

ثم وقع بصره على جثتى الرجلين ، فاستطرد :

- رباه ! .. يا للوحشية !

انتزعت عبارته الجميع من جمودهم ، فالتفت إليه (نور) ، وقال فى صرامة :

- لا تبق هنا يا (رمزى) .. عد بسرعة إلى زوجتك وزوجتى وزوجة (أكرم) ، واعمل على حمايتهن بكل طاقتك وقوتك .

ثم التفت إلى رئيس فريق الأمن ، مضيفًا فى حزم :

ـ وأنت أرسل أحد رجالك ، لحراسة حجرة (أكرم) ، حتى ينتهى مفعول العقار المسكن المهدئ ، الذى حقنه به (رمزى) ، ويستعيد وعيه ، ومُره ببذل قصارى جهده أيضًا لحمايته ، ومر الرجلين اللذين يحرسان حجرة الصغير أيضًا بهذا .

سأله مسئول الأمن فى توتر :

ـ ومن أى شىء ينبغى أن يعملوا على حمايتهم جميعًا .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) وهو يقول فى صرامة :

ـ لست أدرى يا رجل .. لا أحد يدرى بعد .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت القبطان ، وهو يقول فى اضطراب شديد :

ـ يبدو أن مشكلتنا لم تعد تقتصر على حماية الآخرين ، والبحث عن ذلك العدو الغامض فحسب يا سيد (نور) .

التفت إليه الجميع بنظرة متوترة متسائلة ، فأضاف بصوت يحمل توتر الدنيا كله :

ـ لقد دمَّر أحدهم كل الخرائط الملاحية الإليكترونية ،

وكل أجهزة التوجيه الفضائى ، وهذا يعنى أنه لم يعد بإمكاننا تحديد وجهتنا .

وبدا صوته أقرب إلى الانهيار ، وهو يستطرد فى مرارة :

ـ لم يعد بإمكاننا هذا قط .

وكان للخبر وقع رهيب على نفوس الجميع ..

وقع أشبه بصاعقة ..

صاعقة فضائية ساحقة ..

★ ★ ★

أفكار لا حصر لها ، انطلقت فى عقل (أكرم) ، وهو يرقد فى حجرة العناية بالمكوك ..

لم يكن قد استعاد وعيه كاملاً بعد ، أو استوعب الموقف كله فى وضوح ، إلا أن أعماقه كلها كانت تموج بالقلق والتوتر ، والتساؤلات تنطلق فى ذهنه فى تتابع متصل بلا نهاية ..

ما الذى يحدث بالضبط ؟! ..

أى خطر هذا ، الذى يواجهه المكوك ؟! ..

ومن العدو الذى يقاتلونه ؟! ..

بل ما هو ؟! ..

حار عقله طويلًا وطويلًا فى البحث عن جواب شاف ، وفتح عينيه قليلًا ، فانطلقت زفرة ملتهبة إلى جواره ، وأعقبها صوت زوجته (مشيرة) تهتف :

حمدًا لله .. خشيت أن أفقدك .

استدار إليها فى بطء ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة متهالكة ، وهو يغمغم :

- ليس بهذه السهولة .

ضمّته إليها فى حنان ، وهى تهمس فى أذنه :

- لقد قاسيت الكثير .

أجابها فى خفوت :

- يبدو أنها أصبحت عادة ، لا يمكننى التخلص منها .

ابتسمت فى ارتياح ، لروحه المعنوية المرتفعة ، وتلفت هو حوله فى اهتمام ، وهو يستعيد نشاطه رويدًا رويدًا ، قبل أن يسألها :

- ما التطورات الجديدة فى الموقف ؟! .. هل عثروا على الوغد ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، قائلة :

- ليس بعد .. لقد فتشوا القاع كله ، بعد أن أخرجوكما منه ، ولكنهم لم يعثروا على أدنى أثر له .

انعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

- أين ذهب إذن ؟

لم يكن لديها ما تجيبه به ، فلاذت بالصمت التام ، واكتفت بالتطلّع إليه بعينين حائرتين ، فتنهّد بدوره ، قائلًا :

- ربما يعثرون عليه ، عندما نصل إلى الأرض .. هذا لو بلغناها أحياء .

غمغمت فى شىء من الاضطراب :

- الأرض ؟!

أقلقته تلك النبرة المتوترة فى صوتها ، فسألها فى قلق :

- ماذا حدث ؟!

فكّرت لحظة فى التهرّب من الجواب ، أو فى البحث عن تبرير ما لتوترها ، إلا أن هذه الفكرة لم تلتهم سوى لحظة واحدة من ذهنها ، قبل أن تحسم أمرها بسرعة ، وتجيب على نحو مباشر :

- المكوك لم يعد يتجه إلى الأرض .

انتفض جسده كله فى عنف ، وهو يقول :

- لم يعد ماذا ؟!

التقطت نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على أعصابها ، قبل أن تجيب :

- ذلك الشىء الذى نواجهه ، أفسد عمل أجهزة الملاحة ، ودمّر كل الخرائط وأسطوانات الكمبيوتر ، ولا أحد يدرى إلى أين يتجه المكوك الآن .

اتسعت عيناه فى ارتياع وهبّ جالسًا على طرف فراشه ، وهو يهتف :

- رباه ! .. إنها كارثة .

أشارت بيدها ، قائلة :

- (نور) و(سلوى) و(نشوى) مع القبطان ، فى حجرة التوجيه الإليكترونى ، يحاولون البحث عن حل لهذه المشكلة .

انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يقول :

- لماذا أبقى هنا إذن ؟!

قالها ونهض واقفًا ، والتقط قميصه ، فهتفت به فى هلع :

- ماذا تفعل ؟! .. هل جننت ؟! .. (رمزى) قال : إنه من الضرورى أن تظل فى راحة تامة لمدة يوم كامل .

أجابها فى عصبية :

- راحة تامة ؟ .. أية راحة تلك التى تتحدثين عنها ، فى ظل هذه الظروف الجديدة ، وما فائدة الحفاظ على صحتى ، ونحن نواجه خطر الضياع فى الفضاء الخارجى ؟!

قالت فى حدة :

- وما الذى يمكنك أن تفعله ؟

أجاب فى حزم أكثر :

- ربما أمكننى أن أفعل الكثير .

ثم تلفّت حوله ، مستطردًا:

- أين مسدسى ؟!

قالت متضرّعة :

- (أكرم) .. أرجوك ..

كرّر سؤاله فى حدة عصبية :

- أين مسدسى ورصاصاتى ؟

كانت تدرك عدم جدوى مناقشته ، فى مثل هذه

الظروف ، فأطلقت فى أعماقها زفرة حارة ، قبل أن تشير إلى الدرج المجاور ، مجيبة فى يأس :

ـ هنا .

فتح الدرج فى حركة عنيفة ، والتقط مسدسه منه ، وجذب خزانته ، وراح يحشوها بالرصاصات ، قبل أن يعيدها إلى موضعها ، وهو يجذب مشط المسدس ، فسألته فى توتر :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله مسدسك ، فى مثل هذه الظروف ؟! .. هل يعيدنا إلى الأرض ؟!

أجابها فى صرامة ، وهو يدسّ المسدس فى حزامه :

ـ من يدرى ؟

قالها ، واندفع مغادرًا الحجرة فى خطوات سريعة نشطة ، وكأنه لم يكن راقدًا فاقد الوعى ، منذ دقائق مضت ، فلحقت به هاتفة :

ـ انتظرنى .

تحرّكا معًا عبر أحد ممرات المكوك ، واقتربا من الحجرة الخاصة ، التى تضمّ طفل (نشوى) ، فسألت (مشيرة) :

ـ هل تعتقد أن للصغير علاقة بما يحدث ؟

أجابها فى حزم :

ـ بالتأكيد ، فكل الأحداث لم تبدأ إلا بعد مولده ، وكلها ترتبط بتلك المادة الخضراء العجيبة ، التى تسرى فى عروقه بدلًا من الدم ، وربما كان لها تأثير .

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى أسفل باب حجرة الصغير ، فتوقفت (مشيرة) بحركة حادة ، وسألته فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟

أدهشها أن أبعدها عنه فى خشونة ، قائلًا ، وهو يستلّ مسدسه :

ـ ابتعدى .

فى تلك اللحظة فقط ، لمحت ذلك الخيط من المادة الخضراء ، الذى يسيل عبر الفراغ الضئيل أسفل الباب ، فرفعت يديها إلى فمها ، وهى تطلق شهقة ذعر ، هاتفة :

ـ رباه ! .. الصغير .

أجابها (أكرم) فى حدة أكثر :

ـ قلت : ابتعدى .

ورفع مسدسه ، وهو يتقدم نحو باب الحجرة فى حذر شديد ، قبل أن يثب بغتة ، ويضرب بابها بقدمه ، ثم يقفز داخلها شاهرًا مسدسه ، و ...

« اللعنة ! .. » ..

انطلقت الكلمة من حلقه كالقذيفة ، فور قفزه إلى الحجرة ، على نحو انتفض له جسد (مشيرة) ، وتفجُر معه فضولها ، حتى أنه هزم كل ما تشعر به فى أعماقها من خوف وتوتر ، وجعلها تندفع نحو الحجرة ، هاتفة :

ـ ماذا حدث ؟! .. هل أصاب الصغير مكروه ، أم ... ؟

ولم تتم سؤالها ، عندما وقع بصرها على الحجرة من الداخل ، بل سرت فى جسدها أعنف انتفاضة شعرت بها ، فى حياتها كلها ، وتراجعت وكأنما أصابتها صاعقة ، وهى تطلق صرخة قوية ..

صرخة رعب ..

★ ★ ★

التقى حاجبا (نور) فى توتر شديد ، وهو يراقب شاشات الكمبيوتر والتوجيه ، فى حجرة التحكم ، قبل

أن يقول فى شىء من العصبية :

ـ من الصعب علىّ جدًا أن أقتنع بأنه لا يوجد حل أيها القبطان .. طبيعتى الشخصية ترفض هذا تمامًا .. إننى أرفض الاستسلام لليأس والهزيمة ، مهما كانت الأسباب .

أشار القبطان إلى الشاشات ، قائلاً :

ـ أخبرنى باقتراحاتك إذن .. لقد فقدنا كل الخرائط الملاحية ، وفقدنا التحكم فى أجهزة التوجيه ، وحتى الطيّار الآلى عجز عن العمل .. كيف بالله عليك تجد وسيلة للعودة إلى الأرض ؟!

أجاب (نور) فى حزم :

ـ السؤال الحقيقى هو : هل فسدت أجهزة التوجيه ، أم أننا فقدنا التحكم فيها فحسب ؟!

قال القبطان فى عصبية :

ـ وما الفارق ؟! ..

أجابته (سلوى) هذه المرة :

ـ الفارق ضخم للغاية يا سيدى القبطان ، فلو أن أجهزة التوجيه قد تلفت لسبب ما ، فلن يعود بإمكاننا السيطرة عليها قط ، أما لو كنا قد فقدنا التحكم فيها فقط ،

فمن الممكن أن نبذل محاولة للدوران حول منطقة السيطرة ، كما فعلنا مع مدخل القاع .

أومأ القبطان برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. ربما ..

ثم استغرق فى التفكير لبضع ثوان ، قبل أن يهز رأسه فى توتر ، قائلاً :

ـ وحتى لو استعدنا سيطرتنا على أجهزة التوجيه ، كيف يمكننا تحديد مسارنا إلى الأرض ، بدون الخرائط الملاحية ؟!

سألته (نشوى) :

ـ ألا توجد نسخة منها فى مكان ما من البرنامج الأساسى للمكوك ، يمكن الوصول إليها عبر الكمبيوتر ؟!

هزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .. إنهم لا يفصحون لنا عن الأسرار بهذه البساطة .

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

ـ يمكننا أن نبذل محاولة إذن .

قالتها ، وهى تجلس أمام الكمبيوتر ، وتستعد للتعامل مع البرنامج الأساسى ، كما فعلت من قبل ، و ..

وعندئذ ، انطلقت صرخة (مشيرة) .

كانت بعيدة عن موضعهم إلى حد ما ، إلا أنها انتزعتهم جميعًا من مواضعهم ، وجعلتهم يعدون بأقصى سرعتهم نحو مصدرها ، وما إن بلغوا حجرة الطفل ، ورأوا تلك المادة الخضراء ، التى تسيل خارجها ، حتى هتفت (نشوى) فى ارتياع :

ـ رباه ! .. ابنى .

اندفع (أكرم) خارج الحجرة ، فى اللحظة نفسها ، وهو يقول :

ـ لا تدخلى يا (نشوى) .. لا تفعلى .

صاحت به ، وهى تنقض على الحجرة :

ـ لماذا ؟! .. ماذا أصاب ابنى ؟!

حاول أن يحتجزها ، إلا أنها راوغته فى حركة سريعة ، واندفعت إلى الحجرة ، ثم تسمَّرت داخلها ، والرعب يملأ كيانها كله ..

لقد كان أحد رجلى الأمن ملقى وسطها بالضبط ، وقد التهمت تلك المادة المخيفة وجهه بكامله ، وصبغت أجزاء من جمجمته بذلك اللون الأخضر الرهيب .

أما الصغير ، فلم يعد له أثر فى الحجرة .. أدنى أثر !

★ ★ ★



حاول أن يحتجزها ، إلا أنها راوغته فى حركة سريعة ، واندفعت إلى الحجرة ، ثم تسمَّرت داخلها ..

٩ ـ ثانيـــة !!

هزَّ (نور) رأسه فى قوة وعنف ، وهو يراجع خريطة المكوك ، قائلاً فى حدة :

ـ لا .. لا يمكن أن يحدث هذا ثانية .. لماذا يصرّ بعضهم على اختطاف الصغير فى كل مرة ؟! .. وأين اختفى رجل الأمن الآخر ؟!

أجابه القبطان فى توتر مماثل :

ـ لم نعثر على أدنى أثر له أو للصغير ، هذه المرة أيضًا ، على الرغم من أننا فحصنا القاع ، وتأكدنا من خلوه تمامًا ، ثم أغلقناه بمنتهى الإحكام .

قال (نور) فى عصبية :

ـ الصغير ورجل الأمن لم يتبخرا حتمًا .. إنهما هنا فى مكان ما .

ثم أشار إلى جزء ما فى الخريطة ، مستطردًا :

ـ ربما هنا ، فى مخزن الأدوات الملاحية .

هتفت (نشوى) فى انفعال عنيف :

ـ نعم .. دعونا نبحث عنه هناك .

احتضنتها أمها (سلوى) فى حنان مشفق ، وهى تقول :

- اهدئى يا بنيتى .. اهدئى .. كل شىء سيسير على ما يرام بإذن الله .

صاحت (نشوى) وهى تتملّص منها فى عصبية :

أى شىء هذا الذى يسير على ما يرام ؟! .. الأمور تتعقّد أكثر وأكثر فى كل مرة ، وهناك عدوّ ما يصرّ على انتزاع ابنى منى .

التفت إليها القبطان فى حركة حادة ، وهو يقول :

- معذرة يا سيّدتى ، ولكننا لا نعتقد أن هذا ما يحدث بالفعل .

سأل (رمزى) فى غضب :

- ماذا تعنى بالضبط أيها القبطان ؟!

أجابه القبطان محتدًا :

- الرجال هنا يصرّون على أن ابنكما هو المسئول عن كل ما يحدث هنا .

صاحت به (مشيرة) :

- هل جننت أنت ورجالك يا رجل ؟! .. إنه مجرّد

طفل ، لم يتجاوز يومه الأوّل بعد ، فكيف يمكنه أن يكون مسئولًا عن كل هذا الرعب ؟

أجابها القبطان ، وهو يكاد يصرخ فى وجهها :

- إنه مسئول عنه بشكل أو بآخر ، ورجالى لن يحتملوا هذا طويلًا .. إنهم يرفضون البحث عنه الآن ، وربما تطوّر الأمر فيما بعد إلى ما هو أخطر من هذا .

سأله (أكرم) فى صرامة :

أتهديد هذا ؟

أجاب القبطان فى صرامة أكثر :

- بل تحذير .. رجالى بشر وليسوا ملائكة ، والموقف يضغط على أعصابهم بشدة ، ولن تلبث هذه الأعصاب المشدودة أن تنهار ، ويحدث ما لا تحمد عقباه .

استلّ (أكرم) مسدسه ، وهو يقول فى غضب :

فليحاول أحدهم أن يمسّ أحدنا بسوء ، وسيندمون على هذا أشدّ الندم .

أشار إليه (نور) فى صرامة ، قائلاً :

- إننا لا نسعى لشن حرب داخل المكوك .. هذا لن يوصلنا إلى أى حل قط .

قال (أكرم) فى ثورة ، وهو يضرب الجدار بمسدسه :

- وماذا عن سعيهم إلى التمرُّد ؟ .. هل سيوصلنا هذا إلى الحل المنشود ؟!

قال (نور) فى غضب :

- إنهم لم يفعلوا شيئًا بعد .

أطلق (أكرم) ضحكة عصبية ساخرة ، قبل أن يقول :

- آه .. عدنا إلى (نور) المرهف الحس ، وأفكاره الرقيقة العجيبة .. قل لى يا قائدنا الهمام : هل ننتظر حتى يبدءوا تمرّدهم بالفعل ، قبل أن نتخذ خطوة حاسمة ، أم أنك تفضّل أن نفعل هذا بعد نجاحهم فيه ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- الأمور لن تبلغ هذا الحد قط .

صاح به (أكرم) :

- هل تراهن ؟!

أجابه (نور) فى حدة :

- ليس هذا موضع المراهنة يا (أكرم) .. حاول أن تستوعب الأمور على نحو أكثر واقعية ومنطقية ، و ..

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما اندفع أحد رجال الأمن داخل الحجرة شاحب الوجه ، وهو يقول :

- سيّدى القبطان .. لقد عثرنا على زميلنا .

سأله القبطان فى لهفة ، وعيون الجميع تلتفت إليه فى سرعة :

- أين ؟!

أجابه الرجل في توتر شديد :

- فى مخزن الأدوات الملاحية ، ولكن ..

لم يحتمل أحدهم انقطاعه عن الحديث ، فهتف (رمزى) :

- ولكن ماذا بالله عليك ؟

أدار الرجل عينيه فى وجوههم فى توتر بالغ ، قبل أن يشير بسبّابته ، قائلاً بصوت مرتجف :

- الأفضل أن تروا بأنفسكم .

قالها ، وانطلق خارج الحجرة ، فلحق به الجميع فى خطوات واسعة سريعة ، أقرب إلى العدو ، حتى بلغوا مخزن الأدوات الملاحية ، حيث احتشد كل طاقم ورجال أمن المكوك المتبقين ، يحدقون داخله فى ذعر واضح ،

فدفعهم (نور) جانبًا ، وهو يقول :

ـ دعونى أمر .. أفسحوا الطريق .

تراجعوا جميعًا فى سرعة ، وأفسحوا له ولفريقه الطريق ، فاندفعوا جميعًا إلى المخزن ، وهتف (أكرم) :

ـ رباه ! .. كنت أتوقّع هذا ؟

قالها ، وهو يحدّق فى رجل الأمن ، الذى تعلّقت قدمه بخطاف قوى ، فى سقف المخزن ، على ارتفاع ثلاثة أمتار كاملة ، وتدلّت جثته على نحو بشع مخيف ، وتلك المادة الخضراء تسيل من قدميه ، وتغمر صدره ووجهه وذراعيه التى تحوّلت كلها إلى مزيج رهيب من العظام والأسمال البالية ..

وفى ارتياع رهيب ، هتفت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! .. ابنى .. ابنى .

واكتفت (سلوى) و(مشيرة) بشهقة مذعورة مكتومة ، فى حين انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وكذلك (رمزى) ..

أما القبطان ، فقد اكتفى بنظرة سريعة إلى الجثة ، ثم خفض عينيه إلى حيث تتساقط قطرات المادة الخضراء ،

على أرضية المخزن ، وقال فى أشد لهجاته حدة وتوترًا ، وهو يشير إلى نقطة ما :

ـ ماذا كنت تقول حول مسئولية الصغير يا سيّد (نور) ؟!

انخفضت عيون الجُميع إلى حيث يشير ، ثم اتسعت كلها فى دهشة أقرب إلى الذهول ، فيما عدا عينى (نور) ، الذى التقى حاجباه حتى كادا يتعقدان ببعضهما وهو يتطلّع إلى ما يتطلّع إليه الجميع ، وقلبه يخفق فى عنف ..

فهناك ، على أرضية الحجرة ، كانت هناك آثار أقدام واضحة ، ولكنّ أغرب ما فيها هى أنها آثار أقدام طفل .. طفل لم يتخط يومه الأوّل بعد ..

* * *

غمر قلق شديد مركز المراقبة الرئيسى ، على كوكب الأرض ، بعد أن عجز خبراؤه طويلًا عن الاتصال بالمكوك ، الذى يحمل (نور) وفريقه ، وبدا الإرهاق واضحًا على وجه كبير الخبراء ، وهو يلقى نفسه على مقعده ، ويقول للدكتور (ناظم) ، رئيس مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية :

- لا فائدة .. لقد جربنا كل وسائل الاتصال التقليدية والخاصة ، ولكننا لم ننجح أبدًا فى إجراء الاتصال بالمكوك .

فرك الدكتور (ناظم) كفيه فى عصبية ، وهو يقول :

- ولكن هذا أمر خطير للغاية .. الاتصال بالمكوك صار أمرًا حتميًا ، بعد أن تغيّر مساره بغتة .. هناك أمر ما يحدث فى الفضاء ، ونحن نجهل كل شىء عنه ..

قلب كبير الخبراء كفيه ، قائلاً :

- وما الذى يمكننا عمله ؟! .. لقد بذلنا قصارى جهدنا .

صاح به الدكتور (ناظم) فى حدة :

- ابذلوا جهدًا أكبر ، واستخدموا وسائل أكثر حداثة ، أو تقنيات أكثر تطورًا .. هؤلاء الذين يحملهم المكوك من خيرة أبطالنا ، وكان المفترض أنهم فى طريق العودة إلى هنا ، بعد أن واجهوا أهوالاً على المريخ ، وتغير مسار المكوك على هذا النحو المباغت ، لا يمكن أن يعنى إلا أنهم مازالوا يواجهون خطرًا داهمًا ، ولابد لنا من السعى لإنقاذهم بأى ثمن .

التقى حاجبا كبير الخبراء ، وراح يفكّر فى عمق ، قبل أن يقول فى تردُّد .

- ربما كانت هناك وسيلة ، ولكن ..

بتر عبارته لحظة ، ثم هزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لا .. هذا غير ممكن .

أجابه الدكتور (ناظم) فى لهفة :

- لا يوجد أمر غير ممكن يا رجل .. لقد أخبرتك أن هؤلاء هم خيرة أبطالنا ، ورئيس الجمهورية نفسه لن يتردّد عن منحكم كل التسهيلات الممكنة ، وعن مدكم بأحدث الأسلحة والتقنيات ، حتى تلك البالغة السرية منها ، لو أن هذا يمكن أن يساعدكم على إنقاذهم ، أو على معرفة ما حدث على الأقل .

تردّد كبير الخبراء لحظة أخرى ، ثم قال :

- فليكن .. هناك وسيلة واحدة لبلوغ موضعهم بأكبر سرعة فى الكون كله .

هتف الدكتور (ناظم) :

- أتقصد سرعة الضوء(*) ؟!

(*) سرعة الضوء - وهى تساوى فى الفراغ ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية الواحدة .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول بشيء من الحماس :

ـ بالضبط .. إننا نجرى تجاربنا منذ فترة ، على وسيلة جديدة ، لنقل الأشخاص الآليين محدودى المهام إلى الكواكب والمجرات البعيدة ، عن طريق تفتيت ذراتهم ، ونقلها إلى حيث نريد ، عبر حزمة من أشعة الليزر ، بما يعرف باسم الانتقال الآنى ، بحيث يعاد تجميع هذه الذرات ، فى النقطة التى نريدها بالضبط .

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ وما المدى الذى بلغته تجاربكم بالضبط ؟!

مطَّ الرجل شفتيه ، وغمغم :

ـ أعتقد أنها بلغت حدًا معقولا .

ثم هزَّ رأسه ، مستطردًا :

ولكنها فرصة رائعة لإجراء تجربة عملية ، على مدى فاعلية ذلك الأسلوب ، فمن الممكن أن نرسل إليهم رجلا آليًا محدودًا ، يحوى رسالة صوتية أو هولوجرافية ، بحيث يصبح أيضًا وسيلة لنقل الاتصالات ، منهم وإليهم .

سأله الدكتور (ناظم) فى لهفة أكبر :

ـ ومتى يمكنكم إرسال رجلكم الآلى هذا ؟

مطَّ كبير الخبراء شفتيه مرة أخرى ، وهزَّ كتفيه ، قائلا :

ـ خلال ساعة واحدة ، عندما يتم إعداده ، وإعداد وسيلة النقل الآنى(*) .

هتف الدكتور (ناظم) فى انفعال :

ـ عظيم .. ابدأ على الفور يا رجل ، وأخبرنى إذا ما احتجت إلى أية تسهيلات أو مساعدات .

نهض الرجل من مقعده ، قائلاً فى حماس :

ـ بالتأكيد .. سألقى أوامرى للرجال فورًا .

نهض الدكتور (ناظم) بدوره ، وهو يسأله :

ـ قل لى : هل حددتم الوجهة ، التى يتجه إليها المكوك ؟

أجاب كبير الخبراء بسرعة :

ـ إنه يعود .

(*) النقل الآنى - الانتقال الآنى - هى عملية افتراضية ، يتم خلالها نقل الجسم من مكان إلى آخر فى لحظة واحدة ، عن طريق تفتيت ذراته وإعادة تركيبها فى مكان آخر ، والأمريكيون يجرون تجاربهم فى هذا الشأن منذ الأربعينات .

توقف الدكتور (ناظم) دفعة واحدة ، وهو يسأله :

- وماذا تعنى بأنه يعود ؟ .. إلى أين يتجه بالضبط ؟!

ازدرد الرجل لعابه ، ورفع سبابته ، يشير بها إلى السماء ، قبل أن يجيب فى حزم واثق :

- إلى المريخ .. مباشرة ..

★ ★ ★

« مستحيل ! .. » .

هتفت (نشوى) بالكلمة فى حدة ، وجسدها كله ينتفض انفعالاً ، وتساقطت الدموع من عينيها كالسيل ، وهى تستطرد :

- إنه مجرد طفل رضيع ، بدأ يومه الثانى منذ أقل من ساعة واحدة ، فكيف تتهمونه بأنه المسئول عن كل هذا ؟

ظل (نور) معقود الحاجبين ، صامتًا فى مقعده ، فى حين بدت (سلوى) كالمصدومة ، وانعقد لسان (مشيرة) ، وهى تجلس معهم فى حجرة التحكم الآلى ، وبدا الغضب والانزعاج على وجهى (رمزى) و(أكرم) ، والقبطان يقول فى عصبية :

- كيف تفسرين آثار قدميه إذن ؟!

هتفت ملوحة بيدها فى حنق :

- خدعة .. مجرد خدعة .. أى رضيع هذا ، الذى يبدأ المشى فى يومه الثانى ؟

عقد القبطان حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

- ابنك ليس طفلاً عاديًا يا سيدتى ، وكلنا نعلم هذا .

صرخت :

- إنه طفل .. مجرد طفل .

قالتها ، ثم انفجرت باكية فى عنف ، فاندفع إليها (رمزى) واحتواها بين ذراعيه ، وهو يقول :

- اهدئى .. اهدئى يا حبيبتى .. لا داعى لكل هذا .. كل شىء سينتهى بخير بإذن الله .

هتفت فى مرارة :

- ابننا ليس المسئول يا (رمزى) .. إنه مجرد ضحية .. أليس كذلك ؟

احتواها فى صدره أكثر ، وربت عليها مهدئًا ، ولكنها التفتت إلى والدها ، مستطردة فى شىء من اللهفة والضراعة :

- أليس كذلك يا أبى ؟!

انعقد حاجبا (نور) أكثر ، دون أن يجيب سؤالها ، فقال (أكرم) فى حزم :

- إنه كذلك يا (نشوى) ، وسأقتل كل من يدّعى العكس .

أشار إليه القبطان ، هاتفًا فى غضب :

- قل لى يا رجل : هل ستستمر طويلًا فى عنادك ، وفى إصرارك على أن تتعامل مع كل الأمور بالقوة ؟!

أجابه (أكرم) فى لهجة عنيفة مستفزة :

- نعم ، مادام الموقف يقتضى هذا .

صاح القبطان :

- وهل تتوقّع من الجميع ان يخضعوا لك ؟

أجابه (أكرم) فى حدة :

- لو أنهم بالذكاء الكافى ليفعلوا .

هبّ القبطان من مقعده فى عنف ، قائلاً :

- فى هذه الحالة ستضطرنى لـ ...

صاحت (سلوى) فجأة :

- كفى .. لم أعد أحتمل هذا .. كفى .

كانت صيحتها عصبية للغاية، بما يكفى لإسكات الجميع ، فهوى على المكان صمت عميق مباغت ،

استمر لبضع دقائق ، قبل أن تقول (نشوى) بغتة :

- لماذا يا أبى ؟!

- رفع (نور) إليها عينين متسائلتين ، وحملت العيون كلها حيرة واضحة ، جعلتها تتابع فى عصبية :

- لماذا لم تجب سؤالى ؟!

تطلّع (نور) إليها بمزيد من الصمت ، فهتفت غاضبة :

- لماذا ؟!

التفت الجميع إلى (نور) ، وكأنهم يستوضحونه الأمر ، وقال (أكرم) فى اهتمام :

- نعم .. لماذا لم تجب سؤالها يا (نور) ؟

ازداد انعقاد حاجبى (نور) أكثر وأكثر ، حتى خُيّل للجميع أنهما سيمتزجان معًا ، وتعلّقت عيونهم بشفتيه ، اللتين انفرجتا قليلًا ، وكأنما يهم بإجابة السؤال ، عندما ارتفع صوت (رمزى) ، وهو يقول فى توتر :

- الجواب ليس عسيرًا يا رفاق .. (نور) أيضًا مقتنع بأن حفيده هو المسئول عن كل هذا .

شهقت (نشوى) ، هاتفة بارتياع :

- لا .. مستحيل ! .. قل إن (رمزى) مخطئ يا أبى .. قل : إنه لم يستطع تحليل الأمر نفسيًا هذه المرة .

خفض (نور) عينيه فى تأثر ، وكأنما لا يجرؤ على التطلع إلى ابنته ، وهو يقول :

- زوجك أبرع خبير نفسى عرفته ، فى حياتى كلها يا (نشوى) .

هبّت (مشيرة) من مقعدها مبهوتة ، وشهقت (سلوى) فى قوة ، فى حين عقد (أكرم) حاجبيه فى شدة ، وهتفت (نشوى) :

- رباه ! .. أنت يا أبى .. أنت تقول هذا !

انطلقت من أعماق (نور) زفرة حارة ، قبل أن يقول :

معذرة يا (نشوى) ، ولكنه التفسير المنطقى الوحيد للأحداث .. أنا و(أكرم) واجهنا خصمًا غامضًا فى قاع المكوك ، واستمرت مواجهتنا معه ، بعد مصرع رجال الأمن والطبيب ، وعندما اقتحم الآخرون المكان ، وفتشوه جيدًا ، لم يجدوا سوى ابنك .

اتسعت عيناها فى رعب ، وهى تقول :

- هذا ليس دليلًا .

تنهّد (نور) مرة أخرى ، وقال :

- هناك أيضًا آثار الأقدام ، وذلك الدم الأخضر فى عروقه ..

صرخت فى ثورة :

- هذا ليس دليلًا .. لقد استغلّ أحدهم الظروف التى أحاطت بمولد ابنى ، و ..

« لا تكابرى ياسيّدتى .. » ..

انطلق الصوت هذه المرة من مدخل الحجرة ، فالتفت إليه الجميع فى دهشة ، تفجّرت كالبركان فى أعماقهم ، عندما وقعت أبصارهم على رئيس فريق الأمن ، وهو يصوّب إليهم مدفعه الليزرى ، وخلفه كل من تبقى من رجال المكوك ، وهو يقول فى حزم :

- لقد اعترف رجل المخابرات بمسئولية الصغير ، وحان الوقت لنتولّى الأمر بأسلوبنا .

وكان هذا يعنى أن التمرُّد قد بدأ .. وبعنف .

* * *

١٠ - انقـــلاب ..

ألقى الدكتور (ناظم) نظرة على ساعته ، فى توتر شديد ، قبل أن يقول لكبير الخبراء فى عصبية :

- ماذا دهاكم يا رجل ؟! .. أخبرتنى أنكم تحتاجون إلى ساعة واحدة فقط ، ولقد تجاوزتموها بالفعل ، ولم يستعد الآلى لعملية الانتقال بعد ؟!

مطَّ كبير الخبراء شفتيه ، وهو يقول :

- مازلنا نعانى بعض الصعوبات الفنية ، فالرجال يقومون بعملية نقل آلى فضائية للمرة الأولى ، ولم يتم زرع الرسالة فى الآلى بعد .

صاح به الدكتور (ناظم) فى غضب :

- ولكن هذا إهمال .. إهمال بشع .. ماذا لو فقدنا أثر المكوك ، قبل أن تستعدوا تمامًا ؟!

أجابه الرجل فى هدوء مستفز :

- اطمئن .. لن تفقد أثره .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى غضب ، ومال على الرجل ، قائلاً فى حنق :

- اسمع يا هذا .. ربما تتصوَّر نفسك خبيرًا فذًا فى مجالك ، ولكن صدقنى لو أخبرتك أنه من المستحيل الوثوق فى أى أمر كان ، عندما تتعقَّد الأمور .

هزَّ كبير الخبراء كتفيه ، قائلاً :

- الأمور لم تتعقَّد كما تتصور .. ربما فقد تم الاتصال بالمكوك لسبب ما ، ولكن هؤلاء الرجال هناك لم يفقدوا سيطرتهم عليه بعد .

قال الدكتور (ناظم) فى حدة :

- وكيف يمكنك أن تجزم أيها المتحذلق ؟!

ابتسم كبير الخبراء ، وكأنما يسخر من الدكتور (ناظم) وهو يجيب :

- هذا يبدو واضحاً للغاية يا رجل ، ومن المؤكَّد أن لهم أسبابهم ، التى دفعتهم للعودة إلى المريخ ، فهم يقودون المكوك إليه فى براعة .

ثم ربَّت على كتفه ، مستطرداً فى حسم :

- صدقنى .. أيًا كان ما يحدث هناك ، فهم يعرفون وجهتهم جيداً ..

قالها ، وانصرف ليشرف على عملية الانتقال الآنى ،

دون أن يدرك أن (نور) وفريقه لم تكن لديهم فكرة عن النقطة ، التى يحملهم إليها المكوك ..

أية فكرة ..

★ ★ ★

على الرغم من أن ملاحى المكوك ورجال الأمن فيه ، هم الذين سيطروا على الموقف بغتة ، إلا أن القبطان بدا أشد الموجودين توترًا وانفعالاً ، وهو يقول لرئيس الأمن :

- هل جننت يا رجل ؟! .. هل تدرك ما الذى يعنيه موقفك هذا ؟! .. إنه تمرّد صريح ، يوجب إعدامك فورًا ، طبقًا لقوانين الملاحة الفضائية .

أجابه رئيس الأمن فى حدة :

- قوانين الملاحة الفضائية أيضًا تمنحنى الحق فى عزل القبطان ، وتسلم القيادة ، لو أنه تجاوز الحدود ، أو أصيب بالجنون ، أو بأية إصابة تمنعه من القيام بواجباته كما ينبغى ، ولقد اتفق رأينا على أنك لم تعد تصلح للقيادة يا قبطان .

احتقن وجه القبطان فى شدة ، وهمّ بقول شىء ما ،

ولكن (نور) سبقه قائلاً فى حزم صارم :

- قوانين الملاحة الفضائية تحتم عليك أيضًا إثبات عدم صلاحية القبطان للقيادة ، وإلا اعتبر تصرّفك هذا تمرّدًا .

ابتسم الرجل فى سخرية ، قائلاً :

- أهناك دليل يفوق ما حدث .. طفل شيطانى يقتل تسعة رجال فى يوم واحد ، ويتلف نصف أجهزة المكوك ، ثم لا يتخذ قبطاننا الهمام خطوة واحدة للقضاء عليه .

شهقت (نشوى) ، هاتفة فى ارتياع :

- القضاء عليه .

التفت إليها رئيس الأمن ، وقال فى لهجة متشفية :

- بالطبع يا سيدتى .. هذا ما اتخذنا بشأنه قرارًا لا رجعة فيه .. سنواصل البحث عن ابنك ، ولكن ليس لإنقاذه أو معالجته .

والتقى حاجباه على نحو مخيف ، وهو يضيف :

- وإنما لقتله فورًا .

امتقع وجه (نشوى) ، وتراجعت فى هلع مذعور ، فى حين قال (نور) فى غضب :

- ليس من حقك اتخاذ قرار كهذا يا رجل .

أجابه فى حدة :

- بل لى كل الحق يا رجل المخابرات .. حفيدك يقتلنا واحدًا بعد الآخر بلا رحمة ، وسنقتله بدورنا عندما نعثر عليه ، وبلا رحمة أيضًا .

قال (نور) فى توتر غاضب :

- هذا يحوّلك من متمرّد إلى قاتل .

صرخ الرجل فى ثورة :

- لست قاتلا .. إننى أدافع عن نفسى وكيانى .. عن كياننا جميعًا .. لقد سمعت ما قاله الطبيب .. ذلك الطفل شيطان مريد ، والأمل الوحيد فى النجاة من شروره هو قتله بلا تردّد ، وقتل كل من يحاول منعنا من هذا أيضًا .

اندفع (أكرم) يقول بغتة :

لماذا تستمع إليه يا (نور) ؟ .. إنهم خمسة رجال فحسب ، ليس بينهم من يجيد المواجهة والقتال سوى هذا الرجل وزميله ، أما الثلاثة الباقون ، فهم من ملاحى السفينة .

التفت رئيس الأمن إليه ، وهو يقول فى حدة :

- ماذا تعنى يا رجل ؟! .. هل تتصوّر أنك قادر على التصدّى لنا ؟

تجاهله (أكرم) تمامًا ، وهو يسأل (نور) :

- ما رأيك يا (نور) ؟

تطلّع (نور) إلى الرجال الخمسة ، قائلاً فى حزم :

- يبدو أنه فى بعض الأحيان ، لا يصلح سوى أسلوبك يا (أكرم) .

بدا الارتياح على وجه (أكرم) ، وهو يعتدل ويشدّ قامته ، قائلاً :

- بالضبط .

قالها ، ووثب فجأة يركل المدفع الآلى من يد رئيس الأمن ، ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، هاتفًا :

- إنه الأسلوب الذى أفضّله .

تحرّك رجل الأمن الثانى بسرعة ، فى محاولة لإنقاذ رئيسه ، إلا أن (نور) انقضّ عليه كالصاعقة ، وهو يقول :

- إننى لا أميل إلى هذا الأسلوب فى المعتاد .

ولكمه فى أنفه ، مستطردًا :

ـ ولكنكم أجبرتمونا على هذا .

سقط رئيس الأمن أرضًا ، فى حين تراجع زميله والدماء تغرق وجهه ، من الأنف الذى حطمته لكمة (نور) ، ووثب أحد الملاحين الثلاثة يختطف المدفع الليزرى ، الذى سقط من رئيس الأمن ، وهو يهتف :

ـ كفى .. سأطلق النار فور الـ ...

أمسك (رمزى) ذراعه ، قبل أن يتمّ عبارته ، وقال :

ـ لن تفعل يا رجل .. صدقنى .

وأدار يده بحركة سريعة مدروسة ، فدار معها جسد الرجل كله ، وانطلق خيط الأشعة من المدفع ..

وأصاب وحدة الكمبيوتر الرئيسية ..

ومع دوى الانفجار المحدود ، اندفع جسد (نشوى) إلى الأمام ، وارتطم بجسد أمها ، وسقطت الاثنتان أرضًا ، فى حين دفعت موجة التضاغط (مشيرة) إلى الخلف ، لترتطم بالجدار ، وسقط الرجال جميعهم أرضًا ، وهتف (نور) :

ـ رباه ! .. هل رأيتم ما الذى تسببتم فيه ؟

قفز رئيس الأمن ، محاولًا استعادة مسدسه ، وهو يهتف :

ـ أنتم المسئولون عن كل هذا .

ولكن (أكرم) استقبله بركلة عنيفة فى وجهه ، ألقته إلى الخلف فى قوة ، وقال :

ـ فليكن .. نحن المسئولون ، وأنتم الخاسرون .

سقط الرجل فاقد الوعى ، وتراجع الملاحان الباقيان ، وهما يهتفان :

ـ لا تضربانا .. إننا نستسلم .

نهض (نور) بسرعة ، مصوبًا المدفع الآلى إليهما ، وقائلاً :

ـ فليكن .. هذا أفضل .

أما (نشوى) ، فنهضت هاتفة فى غضب :

ـ هل تدركون ما فعلتموه أيها التعساء ؟! .. لقد تسببت حماقتكم فى تدمير الكمبيوتر الرئيسى ، وفقدنا بهذا وسيلتنا الوحيدة لاستعادة التحكم فى المكوك ، واختيار طريق عودتنا إلى الأرض .

هبط الخبر كالصاعقة ، ليس على الملاحين فحسب ، وإنما على الجميع ..



ولكن (أكرم) استقبله بركلة عنيفة في وجهه ،
ألقته إلى الخلف في قوة ..

لقد انتهى الأمل فى النجاة ..

آخر أمل ..

★ ★ ★

على الرغم من الظلام الدامس ، فى قاع المكوك ، راح ذلك الجسم الضئيل يتحرّك فى بطء ، مطلقًا فحيحه المتصل ، وكأنما يعرف هدفه جيدًا ، حتى وصل إلى الحجرة الصغيرة ، التى تحوى كل وصلات التحكم الرئيسية ..

كان هناك حاجز من الأسلاك ، ذات الزوائد الحادة ، يسدّ مدخل الحجرة تمامًا ، إلا أنه لم يتوقّف عنده ، وإنما ضغط جسده به فى بطء وقوة ، دون أن يبالى بالأطراف المعدنية ، التى انغرست فيه ، وراح يضغطـه ، ويضغطه ، حتى حدث أمر بالغ الغرابة .

لقد اخترق جسده حاجز الأسلاك فى نعومة عجيبة ، وكأنما فقد كل خواصه المادية ، وتحوّل إلى جسم هلامى ، لم يكد ينقسم إلى أجزاء صغيرة ، فى أثناء عبوره الحاجز ، حتى عاد يتجمّع خلفه داخل الحجرة ، وكأنما لم يكن للحاجز أدنى وجود أو تأثير .

ولثانية أو ثانيتين ، توقف ذلك الشىء ، وأدار عينيه فى الحجرة ، وكأنما يرى كل محتوياتها فى وضوح ، على الرغم من الظلام الدامس ، ثم اتجه نحو ركن بعينه ، وتطلع إليه طويلا ، دون أن يلمسه لحظة واحدة ..

وفى بطء ، راحت الأزرار تتحرك ، وكأنما تعبث بها ألف يد ، حتى اتخذت موضعًا خاصًا ، شعر معه ذلك الشىء بارتياح ، فتراجع ، والتصق بالجدار ، وترك طاقته كلها تنساب من جسده إلى مجموعة من أسلاك الاتصالات ..

وانطلقت من المكوك طاقة هائلة ..

طاقة لم تسجلها أى من أجهزته المعطلة ..

طاقة شقت آلاف الكيلو مترات فى قلب الفضاء ، قبل أن تنقض على كوكب بعينه ، يحتل الموقع الرابع ، بين كواكب المجموعة الشمسية ..

المريخ ..

واستقبلتها هناك أجهزة خاصة ..

خاصة للغاية ..

وفى بطء مخيف ، نهض كائن نحيل ، ضخم الرأس ، واسع العينين ، من أسطوانة شفافة ، أشبه بتابوت

زجاجى ، فى مشهد رهيب(*) ، واستدار فى بطء يتطلع إلى تلك الأجهزة ، التى استقبلت دفقة الطاقة ، وترجمتها إلى اللغة التى كان يستخدمها سكان الكوكب منذ آلاف السنين ..

وعلى شاشة ضخمة ، من البلور ، ظهرت الرسالة واضحة ..

رسالة تقول : إن المكوك فى طريقه عائدًا إلى المريخ ..

وعلى متنه بضائع هامة للغاية ..

وشديدة الحيوية ..

بضائع بشرية ، تكفى لتحمل الأمل والحياة لسكان المريخ القدامى ..

والموت ، كل الموت لكوكب آخر ..

الأرض ..

* * *

« خطأ .. خطأ .. خطأ .. »

(*) راجع قصة (بلا أثر) .. المغامرة رقم (١٠٦)

احتقن وجه القبطان فى شدة ، وهو يصرخ بالكلمة ، ويكرّرها فى وجه رئيس الأمن ، الذى خفض عينيه فى أسف ، وغمغم :

- لست أدرى كيف حدث هذا ياسيدى القبطان ! .. لست أدرى ! .. ربما هى الأعصاب المتوترة ، أو ..

قاطعه القبطان فى غضب :

- لا يوجد تبرير واحد لما فعلته .. إنها خيانة .. خيانة فى حالة الطوارئ .

هزّ الرجل رأسه فى مرارة ، مغمغمًا :

- لست أدرى كيف يمكننى التكفير عن هذا يا سيدى القبطان ، ولا كيف يمكننى أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق أزيز مباغت من أحد أجهزة المكوك ، التى لم تتعرّض للتلف بعد ، فالتفت إليها الجميع فى توتر ، وهتف القبطان :

- يا إلهى ! .. ما كل هذه الطاقة ؟!

سألته (سلوى) فى توتر :

- قل لى : أهذا جهاز رصد الذبذبات الفائقة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، فاستطردت فى مزيد من التوتر :

- رباه ! .. هذا يعنى أن أحدهم يطلق رسالة خاصة إلى منطقة بعيدة .

وارتجف صوتها ، وهى تضيف :

- أو إلى كوكب آخر .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يهتف :

- كوكب آخر ؟! .. رباه ! .. ماذا لو ..؟

بتر عبارته بغتة ، وقفزت إلى ذهنه فكرة مخيفة ، جعلته يقول فى انفعال :

- رباه ! .. لابد أن نجد وسيلة للسيطرة على المكوك ، قبل فوات الأوان .

أجابه (رمزى) فى قلق :

- كيف يا (نور) وقد فقدنا الكمبيوتر الرئيسى وأجهزة التوجيه والخرائط الملاحية ؟! .. هل سندفعه بأيدينا ؟

اندفع رئيس الأمن يقول فى عصبية :

- ذلك الطفل هو المسئول ..

همّت (سلوى) بالرد على قول الرجل غاضبة ، إلا أن (نور) سبقها قائلاً :

- فليكن ، حتى ولو افترضنا أنه المسئول ، فلن

يساعدنا هذا على حل المشكلة .

قال الرجل فى غضب :

- ربما يساعدنا على منع حدوث المزيد من الجرائم والكوارث .

ثم لوَّح بقبضته ، مستطردًا فى حدة :

- ربما كنا قد أخطأنا بإعلان التمرّد ، فى ظروف حرجة كهذه ، ولكننى مازلت أومن بأنه ينبغى القضاء على ذلك الطفل فور العثور عليه ، حتى تهدأ هذه الأمور .

قال القبطان بسرعة :

لن نناقش هذا الآن ، فمن يدرى ؟ ربما لا نعثر على ذلك الطفل أبدًا .

هتفت (نشوى) فى عصبية شديدة :

- لا تقل هذا .

التفت إليها الجميع بسرعة ، وقال (رمزى) محاوّلا تهدئتها :

- القبطان لم يقصد شيئًا يا حبيبتى .. كل ما أراد قوله هو أن ..

قاطعته وجسدها يرتجف انفعالا :

هذا الطفل ابنى .. لا تنسوا هذا أبدًا .. إنكم تتحدثون عنه دومًا كما لو كان مخلوقًا عجيبًا ، من الفضاء الخارجى .. إنه ابنى .. ابنى .. حتى ولو كانت بشرته خضراء أو زرقاء ، أو حتى ذهبية .. ابنى وسأبذل حياتى نفسها لو اقتضى الأمر ، من أجل حمايته ، والدفاع عنه ضد كل من يحاول أن يمسّه بسوء .. هل تفهمون ؟

قالتها ، واندفعت تغادر الحجرة فى عصبية ، فهتفت (سلوى) ، محاولة اللحاق بها :

- (نشوى) .. انتظرى يا ابنتى .

ولكن (رمزى) اعترض طريقها ، قائلاً :

اتركيها .. إنها تحتاج إلى البقاء وحدها لبعض الوقت ، لتفرغ انفعالاتها كلها .

هتفت (سلوى) معترضة :

- أتركها وحدها ؟! .. ولكنها ..

قاطعها فى حزم :

- لا تنسى أننى خبير بالطب النفسى .

- بدا التأثر على وجه (سلوى) ، وهى تراقب ابنتها ،

حتى غادرت الحجرة تمامًا ، وأغلقت بابها خلفها فى عنف ، فغمغمت مشفقة :

- يا للمسكينة .

انعقد حاجبا رئيس الأمن ، وهو يقول فى غلظة :

- لقد أنجبت ذلك الشيطان الصغير ، وهى المسئولة عن ..

انقضّ عليه (أكرم) بغتة ، قبل أن يتمّ عبارته ودفعه أمامه فى عنف ، حتى ارتطم بالجدار ، وهو يقول فى غضب :

- اسمع يا رجل ، لو نطقت حرفًا واحدًا زائدًا ، أقسم أن أحطّم فمك البغيض هذا .

لكمه الرجل بكل قوته فى معدته ، قائلاً :

- ربما يمكنك المحاولة .

ثم هوى بقبضته على فكه بسرعة ، مضيفًا :

- ولكن لا تضمن النجاح .

استقبل (أكرم) قبضة رئيس الأمن على ساعده ، على الرغم من الألم الشديد ، الذى تصاعد من معدته إلى رأسه ، وهو يقول فى حدة :

- من قال هذا ؟

ثم لكم الرجل فى فكه بكل قوته ، مستطردًا :

- ها هو ذا النجاح .

ارتطم رئيس الأمن بالجدار فى عنف ، وارتدّ عنه فى قوة ، فاستقبله (أكرم) بلكمة أخرى كالصاعقة ، و(نور) يندفع نحوهما ، هاتفًا فى غضب :

- كفى .. قلت : لا شجار بعد الآن .

سقط رئيس الأمن أرضًا ، والدماء تنزف من طرف شفتيه فى غزارة ، فى حين قال (أكرم) فى صرامة :

- كان يستحق درسًا قاسيًا .

صاح به القبطان غاضبًا :

- لا يحق لك أن تفعل هذا بأحد رجالى .

صاح (أكرم) بدوره :

- علمهم أن يتحدّثوا بلهجة مهذّبة أوّلاً .

احتقن وجه القبطان ، وهو يهتف :

- لقد تجاوزت حدودك يا رجل .

وقال (نور) لـ (أكرم) فى غضب صارم :

- كفى يا (أكرم) .. القبطان على حق .. لقد تجاوزت حدودك بالفعل .

هتف (أكرم) :

- أنا ؟! .. وماذا عن الـ ..

بتر عبارته بغتة ، وازداد انعقاد حاجبيه ، وحلّ التوتر والدهشة فى ملامحه محلّ الغضب ، وهو يحدّق فى باب الحجرة ، على نحو جعل الجميع يلتفتون إلى الباب ، قبل أن تنتقل إليهم عدوى التوتر والدهشة بسرعة البرق .. فهناك ..

وعند باب الحجرة بالضبط ، كانت تقف (نشوى) ..

وكان وجهها ممتقعًا بشدة ، كما لو أنها قد شاهدت الشيطان نفسه ..

أو ما هو أسوأ .

* * *



١١ - الصغير ..

مطّ القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية شفتيه ، وهو يهزّ رأسه فى إيقاع منتظم ، ويتنهّد فى حرارة ، قبل أن يسأل الدكتور (ناظم) :

- إذن فالمكوك مازال يتجه نحو المريخ مباشرة ، وبخط سير سليم تمامًا ، فى نفس الوقت الذى لا يرد فيه على رسائلكم ، أو يبدى أدنى استجابة لإشاراتكم .. ما الذى يمكن أن يعنيه هذا فى رأيك ؟! .. هل درس خبراؤنا الأمر ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) :

- بالطبع ، ومازلوا يعكفون على دراسته .. فى البداية وضعوا افتراضنا بأن جهاز الإرسال فى المكوك قد تعطّل لسبب ما ، وأنهم ربما يستقبلون رسائلنا وإشاراتنا ، ولكنهم يعجزون عن إجابتها ، لذا فقد أرسلنا ، بناء على اقتراحهم ، رسالة خاصة إلى المكوك ، تطلب من قائده فيها تغيير مساره بمقدار خمس درجات فحسب ، كدليل على أنه استقبل الرسالة ، ولكن

شيئاً لم يحدث ، مما يعنى أنهم أيضاً لا يستقبلون رسائلنا ، ثم فجأة ، عدّل المكوك مساره ، وراح ينطلق عائدًا إلى المريخ ، وهنا أصاب الخبراء قلق حقيقى ، فهذا قد يعنى أن الرجال يعودون مرغمين ، إلى الكوكب الذى فروا منه على عجل ، وربما كانت هناك قوة غامضة ، تجبرهم على هذا .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، مغمغمًا :

- يا إلهى !

تابع الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- أو أنهم يعودون إلى المريخ بكامل إرادتهم ، وهذا هو الاحتمال الثانى الأقل قوة .

قلب القائد الأعلى كفيه ، قائلاً :

- ولماذا يعودون إليه ؟!

هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وهو يقول :

- ربما تذكّروا شيئًا هامًا تركوه خلفهم هناك ، أو كشفوا أمرًا يحتم عليهم العودة .

وتنهّد فى عمق وحرارة ، قبل أن يتابع :

- وعلى أية حال ، الخبراء يستعدون الآن لنقل الآلى

المحدود إليهم ، كوسيلة للاتصال وتبادل المعلومات ، وربما يفيدنا هذا كثيرًا .

تطلّع القائد الأعلى إلى ساعته ، قائلاً فى قلق :

- لقد استغرقوا وقتًا طويلاً ليفعلوا !

زفر الدكتور (ناظم) بدوره ، وقال :

- المهم أن ينجحوا فى مهمتهم فى النهاية .

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا فى حزم ، وهو يقول :

- خطأ يا دكتور (ناظم) .. خطأ .. مهنتنا علمتنى أن أداء العمل وحده لا يكفى للفوز .. المهم أن تؤديه فى الوقت المناسب بالضبط .

قلب الدكتور (ناظم) كفيه ، قائلاً :

- الأمر ليس بأيديهم .. إنها مهمتهم الفعلية الأولى ، وهم يحاولون تحديد المسافة بينهم وبين المكوك بمنتهى الدقة ، وإلا فقد لا ينتبه (نور) والآخرون إلى الآلى المحدود قط ، ويضيع كل هذا الجهد هباءً .

لم يكد ينتهى من حديثه ، حتى ارتفع رنين هاتف الفيديو الخاص ، على مكتب القائد الأعلى ، الذى التقط السماعة بسرعة ، وتطلّع إلى وجه كبير الخبراء ، الذى ملأ شاشة الهاتف ، وهو يقول :

- لقد انتهينا .. نحن مستعدون لعملية الانتقال .

قفز الدكتور (ناظم) من مقعده ، واندفع نحو الهاتف ، فى حين سأل القائد الأعلى كبير الخبراء فى حزم :

- هل يمكنكم القيام بالمهمة الآن ؟

أجابه الرجل بمنتهى الثقة :

- بالتأكيد .

هزّ القائد الأعلى رأسه متفهمًا ، ثم قال بلهجة آمرة حاسمة :

- قم بها إذن ، على بركة الله .

ولم يلق كبير الخبراء أية أسئلة أخرى ..

لقد استقبل الأمر ، وبدأ تنفيذ عملية الانتقال الآنى .. وعلى الفور ..

★ ★ ★

هبط صمت ثقيل على الحجرة ، والكل يحدقون فى وجه (نشوى) بمزيج من القلق والدهشة والتوتر ، قبل أن يحطّم (نور) هذا السكون ، وهو يسألها :

- ماذا حدث ؟!

التفتت إليه بجسدها كله ، وارتجفت شفتاها ، وهى تجيب :

- لقد عاد .

كانت جملتها بسيطة ومختصرة ، ولكنها أطلقت قشعريرة باردة كالثلج فى أجساد الجميع ، وبخاصة قبطان المكوك ، الذى قال فى توتر :

- من تعنين ؟

لم يكن بحاجة فعليًا لإطلاق السؤال ، وعلى الرغم من هذا فقد انتفض جسده كله ، عندما تفجّرت الدموع من عينيها ، وهى تجيب :

- ابنى .

ولم يعلّق أحدهم بحرف واحد ..

كل ما حدث هو أنهم ، وبعد دقيقتين فحسب من قولها ، كانوا جميعًا فى حجرة الصغير ، يتطلّعون إليه بدهشة بالغة ، وهو يرقد هادئًا نائمًا ، وبراءة الدنيا كلها تكسو وجهه الأخضر الرقيق ..

ولثوان ، ران على المكان صمت رهيب ، قطعه رئيس الأمن ، وهو يقول فى مقت شديد واضح :

- استمعوا إلى نصحيتى ، قبل فوات الأوان .

تطلع إليه الجميع فى غضب ، وقال (أكرم) :

استمع أنت إلى نصيحتى ، والجأ إلى الصمت .

قال رئيس الأمن فى عصبية :

- إلى متى ستتجاهلون الحقائق الواضحة ، لمجرد أن الطفل ينتمى إليكم ؟! .. هل ستنتظرون حتى يقتلنا جميعَ ؟!

هتفت (نشوى) :

- لا تقل هذا .. إنه ..

قاطعها صوت (نور) ، هو يدوى فى صرامة :

- الرجل على حق .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وعقدت المفاجأة لسان (نشوى) ، فى حين هتفت (سلوى) مستنكرة :

- (نور) .. ماذا تقول ؟

كرّر (نور) فى صرامة أكثر :

- قلت : إن الرجل على حق .

ثم واجه الجميع فى حزم وصلابة ، مستطردًا :

- مشكلتنا بالفعل أننا ننظر إلى الأمر باعتبار أن الطفل ابن (نشوى) و(رمزى) ، وحفيدى أنا و(سلوى) ، ولكن هذا خطأ ، وخاصة بالنسبة لى ، مادمت قد تحملت مسئولية الأمر كاملة ، فهذا يحتم علىّ التصرُّف كقائد ، لا كجد ، وأن أطرح كل العواطف والمشاعر جانبًا ، وأتعامل مع الحقائق المجرّدة فحسب .

ثم التفت إلى رئيس الأمن ، وسأله فى حزم :

- أمازال جهاز التغذية الآلى يعمل ؟

أجابه الرجل فى حماس ، استمدّه من كلمات (نور) الحاسمة :

- بالتأكيد .

شدّ (نور) قامته ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

- فليكن .. هذا يعنى أن الصغير لن يواجه خطر الجوع أو العطش .. والآن اريد أن تغلق الحجرة عليه بإحكام شديد ، وتعمل على مراقبة وتسجيل كل ما يدور داخلها لحظة بلحظة .. لا أريده أن يغيب عن أعيننا لثانية واحدة ، منذ هذه اللحظة .

سأله الرجل فى اهتمام حذر :
- وماذا لو ثبت أنه المسئول فعليًا عما يحدث ؟
شدّ (نور) قامته أكثر ، حتى بدا لهم أشبه بالعملاق ، وهو يجيب :
- فى هذه الحالة سنتخذ كل الإجراءات اللازمة .
ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :
- وبلا أية استثناءات .
ولم يجرؤ مخلوق واحد على مناقشة قوله ..
قط ..

★ ★ ★

« لست أصدّق أن (نور) سيفعل هذا .. » ..
نطقت (مشيرة) العبارة فى حسم ، وهى تعاون زوجها (أكرم) على ارتداء ثيابه ، وهزّت كتفيها وهى تناوله مسدسه ، مستطردة :
- من المستحيل أن يقتل حفيده الأوّل ، مهما كانت الأسباب .
التقط (أكرم) المسدس ، ودسّه فى حزامه ، وهو يقول :

- عجبًا ! .. يدهشنى أنك ، وبعد كل هذه السنين ، مازلت لا تعرفين (نور) جيدًا .
- أجابته فى عناد :
- خطأ .. أنا أعرف (نور) تمام المعرفة ، وهو أكثر شخص رأيته فى حياتى يبغض القتل والعنف والتدمير ، فكيف نتوقع منه أن يقتل حفيده ، حتى ولو ثبت ألف مرة أنه المسئول عن موت الدنيا كلها ؟!
ابتسم (أكرم) ، قائلاً :
- ألم أقل لك إنك لم تفهمى (نور) بعد ؟! .. صحيح أنه يبغض القتل والعنف والتدمير ، كما لا يبغض أى شىء آخر فى الكون ، إلا أنه لا يتردّد لحظة واحدة فى اللجوء إلى ذلك ، إذا ما اقتضى الأمر ، أو كانت فى هذا مصلحة رفاقه أو وطنه ، فطبيعة القائد فى أعماق (نور) تفوق نوازعه وعواطفه البشرية ألف مرة ، وإذا ما ثبت أن ذلك الطفل هو المسئول عن كل ما يحدث على نحو مباشر ، فإنه لن يتردّد فى إطلاق النار على رأسه مباشرة ، ليؤدى مسئوليته الخاصة بحماية الآخرين .
قالت محاولة إثبات صحة رأيها :

- ولكنه سيبذل قصارى جهده أولاً لتفادى هذا .
هز كتفيه ، قائلاً :
- هذا إجراء طبيعى ، بالنسبة لشخص مثله .
قالت فى عصبية :
- ولكنه ليس طبيعيًا بالتأكيد ، بالنسبة لشخص مثلك .
تطلّع إليها لحظة فى صمت ، قبل أن يقول :
- من الملاحظ أن تصرفاتى لم تعد تروق لك فى الآونة الأخيرة .
أجابته فى عصبية أكثر :
- وهل يمكن أن تروق لأى شخص آخر ؟! .. إنك عصبى ، همجى ، متهوّر ، عنيف .. لقد قتلت الطبيب المسكين دون أى ذنب جناه ، لمجرّد أنك لم تعتد التوقّف لحظة واحدة للتفكير ، أو لتنقية انفعالاتك من الحماقات .
انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :
- أهذا رأيك فىّ ؟!
أجابته فى حدة :
- بل هو جزء منه .
ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يشدّ قامته ، قائلاً فى صرامة :

- فليكن .. سأكتفى بهذا القدر الآن ، أما الباقى فسنناقشه عند عودتى .
قالها ، واتجه فى خطوات عصبية إلى الباب ، فسألته فى توتر :
- إلى أين ؟
أجابها فى غلظة :
- إلى حيث أمارس بعض همجيتى وحماقاتى .
وصفق الباب خلفه فى عنف ، فصاحت محنقة :
- اذهب إلى حيث شئت .. لم يعد أمرك يعنينى .
ثم زفرت فى حدة ، واستدارت تتطلّع إلى وجهها لحظة فى المرآة ، قبل أن تقول بصوت مختنق :
- يا إلهى ! .. ماذا فعلت ؟ .. ماذا فعلت ؟!
وانخرطت فى بكاء حار ..
وفى نفس اللحظة ، التى انهمرت فيها دموعها كالسيل ، كان (أكرم) يتجه إلى قاع المكوك ، حيث انهمك (نور) والقبطان فى البحث عن مسارات أسلاك التحكم ، وزفر الأخير فى حرارة ، وهو يقول :
- يبدو أننا سنضطر لنقر كل سنتيمتر فى جدار



كان (أكرم) يتجه إلى قاع المكوك ، حيث انهمك (نور) والقبطان فى البحث عن مسارات أسلاك التحكُّم ..

المكوك ، قبل أن نعثر على تلك الأسلاك ، مادمنا لا نملك خريطة الكمبيوتر ، التى تحدّد مسارها .

قال (نور) فى اهتمام :

ـ ولكن خصمنا يعرف تلك المسارات جيدًا ، فالمفاتيح الموجودة هنا لم تعد تعمل ، ومن الواضح أنه نبش الجدار فى نقطة ما ، وقطع المسارات كلها ، وأقام نقطة تحكُّم جديدة ، نجهل موضعها بالضبط .

قلب القبطان كفيه ، وهو يقول فى مرارة :

ـ وهذا يعنى أنه لم يعد لدينا أمل بالفعل ، ولم نعد ندرى حتى إلى أين نتجه .

ارتفع صوت (أكرم) ، وهو يقترب منهما ، قائلاً :

ـ كل هذا بسبب العلم الحديث .

التفت الاثنان إليه ، وسأله (نور) فى شىء من الضجر :

ـ وما مشكلة العلم الحديث فيما نواجهه ؟ .. هل كانوا يطلقون سفن الفضاء ، أيام العلوم القديمة ؟

هزَّ (أكرم) رأسه نفيًا ، وأجاب :

كلاً ، ولكنهم كانوا يجيدون قراءة النجوم على الأقل(*) .

سأله القبطان :

ـ وبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يستند إلى الجدار ، بشىء من التوتر :

ـ كانت مشكلة ضياع الخرائط الملاحية ستحلّ على الأقل ، ولن تكون ضرورة وجود الكمبيوتر ملحة ، كما هى الآن .. كنا سنجد على الأقل شخصًا يمكنه قراءة النجوم ، وتحديد مسارنا بالضبط .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى انفعال :

ـ صدقت يا (أكرم) .. ولمَ لا ؟!

ثم التفت إلى القبطان ، وسأله فى اهتمام :

ـ قل لى يا رجل : كم مرة سافرت إلى المريخ ؟

أجابه القبطان فى شىء من الحذر :

ـ أربع مرات حتى الآن منذ كنت أعمل فى القوات الفضائية .

(*) المقصود هنا هو قراءة النجوم لتحديد الموضع والاتجاهات ، وليس قراءة الطالع أو علم الفلك .

سأله (نور) :

ـ وكم مرة راجعت الخرائط الملاحية ، خلال هذه الرحلات الأربع ؟

أدرك القبطان ما يرمى إليه (نور) فأجاب فى حماس :

ـ أكثر من ثلاثين مرة بالتأكيد ، وهذا يعنى أنه ربما كان فى استطاعى قراءة النجوم .. أهذا ما تقصده ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى حزم :

ـ كلاً .

بدت الدهشة على وجهى (أكرم) والقبطان فى آن واحد ، ثم قال الأخير فى حيرة :

ـ ما الذى كنت تقصده إذن ؟

أشار (نور) إلى رأس القبطان ، وهو يجيب :

ـ أقصد أنه مادامت المعلومات قد دخلت إلى رأسك أكثر من ثلاثين مرة ، فهذا يعنى أنها لن تفارقها قط ، حتى ولو تصوّرت أنت أنك قد أهملتها أو نسيتها(*) .

(*) حقيقة علمية ، فالعلم الحديث يؤكد أن كل شىء رآه ، أو سمعه ، أو لمسه ، أو استنشقه الإنسان يستقر فى ذاكرته ، ويختزن ، ويبقى فيها إلى الأبد ، حتى وإن عجز وعيه عن استعادته .

بدت الحيرة أكثر على وجه القبطان ، وهو يغمغم :
ـ إذن فالمطلوب منى أن أحاول تذكرها .. أليس كذلك ؟!
هزّ (نور) رأسه نفيًا مرة أخرى ، وهو يجيب :
ـ محاولة التذكر ليست مجدية من الناحية العملية ، فكل ما ستفعله هو أنك ستبذل قصارى جهدك لتعتصر ذاكرتك ، ولتنبش فيها عما اختزنته دون وعى منك ، وربما يخدعك هذا ، أو يمزج معلوماتك بعضها بالبعض ، وعلى أحسن تقدير علمى ، سيمكنك استرجاع سبعين فى المائة من هذه المعلومات ، وهذا لن يكفى قط ، فنحن نحتاج حتمًا إلى مائة فى المائة منها .
قال (أكرم) فى عصبية :
ـ عجيب هو أمرك يا (نور) .. كيف يمكننا استعادة مائة فى المائة ، من المعلومات المختزنة فى ذاكرة القبطان ، مادام هذا مستحيلًا كما تقول ؟!!
أجابه (نور) فى سرعة :
ـ لم أقل قط إنه مستحيل .. كل ما قلته هو أن محاولة التذكّر الإرادية لن تجدى .

سأله القبطان ، فى مزيج من القلق والفضول :
ـ أهناك محاولات تذكّر لا إرادية ؟
ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة كبيرة ، وهو يجيب :
ـ بالتأكيد .
وحملت ابتسامته الغموض ..
كل الغموض ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا رئيس الأمن فى توتر شديد ، وهو يراقب شاشة الرصد الداخلية ، التى تنقل كل ما يدور فى حجرة الصغير ، الذى ظل راقدًا فى صمت هادئ ، وملامحه الصغيرة تحمل براءة طفولية تقليدية ، دون أن تحدث أية تطورات ، منذ ما يقرب من نصف الساعة ، ثم قال لمساعده فى عصبية :
ـ ذلك الثعلب يعلم أننا نراقبه .
تردّد رجل الأمن بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حذر :
ـ إنه مجرّد طفل .
هتف رئيس الأمن مستنكرًا :
ـ مجرد طفل ؟! .. هل خدعك قولهم يا رجل ؟ .. هل نسيت كل ما حاق بنا من خراب ودمار ، منذ مولد هذا

الشيطان ؟! .. أنسيت كم قتل من رجالنا حتى الآن ؟! .. تذكّر معى ما أصاب الطبيب ، والممرضة ، واختفاؤه كلما حدث أمر جلل ، أو وقعت حادثة قتل ، ثم آثار الأقدام الصغيرة .. هل نسيت كل هذا ؟!

بدا التردُّد مرة أخرى على وجه الرجل ، وهزّ رأسه ، وكأنما يهمّ بقول شيء ما ، قبل أن يهمس :

ربما يحاول أحدهم أن ..

قاطعه رئيس الأمن فى غضب :

ـ يحاول ؟! .. استيقظ يا رجل .. عد إلى وعيك .. هل ستواصل الدفاع عن ذلك الشيطان الصغير ؟! .. ما الذى يفعله بكم بالله عليكم ؟! .. هل يسحركم ؟!

هزّ الرجل رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ ليس الأمر كذلك ، ولكنه طفل صغير .. صحيح أن بشرته الخضراء مخيفة ، ولكن لا يمكننى أن أتصوّر أبدًا أنه المسئول عما يحدث هنا .

انعقد حاجبا رئيس الأمن فى شدة ، وهو يتطلّع إلى الرجل ، قبل أن يعتدل فى مقعده ، ويقول له فى حزم :

ـ اذهب لتفقُّد المؤخرة .

قال الرجل فى دهشة :

ـ المؤخرة ؟! .. ماذا عنها ؟! ولماذا أذهب لفحصها

الآن ؟! .. المفترض أنها ..

قاطعه رئيس الأمن فى صرامة غاضبة :

ـ هل ستناقش أوامرى ؟!

هبّ الرجل واقفًا ، وأدى التحية العسكرية فى سرعة ، وهو يقول فى توتر :

ـ مطلقًا يا سيّدى .. مطلقًا ..

صاح به رئيس الأمن :

ـ اذهب إذن لتفقُّد المؤخرة .

أجابه الرجل ، وهو يتحرّك فى خطوات سريعة ، أقرب إلى العدو ، لتنفيذ ذلك الأمر العجيب :

ـ بالتأكيد يا سيّدى .. بالتأكيد .

راقبه رئيس الأمن ، وهو يغادر المكان ، وانتظر بضع لحظات حتى يمنحه الفرصة لبلوغ المؤخرة ، قبل أن يغمغم :

ـ كلكم أغبياء .

قالها ، واستلّ مسدسه الليزرى ، واتجه فى خطوات حاسمة نحو الحجرة ، التى يرقد فيها الصغير ، وقد اتخذ قرارًا حاسمًا ، لا رجعة فيه .. بل حكمًا واجب التنفيذ ..

لقد حكم بإعدام الطفل .. وفورًا ..

★ ★ ★

١٢ - الخطـر ..

تجمّد القبطان تمامًا فى مقعده ، وتعلّقت عيناه بتلك القطعة المعدنية اللامعة ، التى تتأرجح أمامهما فى إيقاع رتيب منتظم ، وصوت (رمزى) يأتى من خلفها عميقًا بطيئًا ، وهو يقول :

ـ استرخ تمامًا يا قبطان .. اترك عضلاتك كلها تهدأ وتستريح .. ألغ كل فكرة من عقلك .. فقط تطلّع إلى الضوء .

كان هناك شعاع من الضوء ، يأتى من فوق كتف القبطان ، وينعكس على القطعة المعدنية ، المربوطة بسلسلة رفيعة ، يمسك (رمزى) طرفها ، ويؤرجحها فى هدوء ، وهو يتطلّع إلى القبطان ، الذى بدأ يشعر بالنعاس يتسلّل إلى أعماقه ، وبصوت (رمزى) يزداد عمقًا ، وبالضوء المنعكس على القطعة المعدنية يتألّق أكثر وأكثر ..

وفى شىء من العصبية ، همس (أكرم) فى أذن (نشوى) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابته هامسة فى حماس ، وهى تراقب ما يفعله (رمزى) فى اهتمام شديد :

ـ تنويم مغنطيسى(*) .. (رمزى) خبير فى هذا المجال .

وهمست (سلوى) بدورها :

ـ نعم .. لقد أنقذ حياتنا ذات يوم بوساطته(* *) .

بلغ همسهما مسامع (رمزى) ، فأشار بيده فى صرامة ، جعلت الجميع يبتلعون ألسنتهم ، ويلتزمون الصمت التام ، فى حين راح القبطان يغوص فى ذلك البريق رويدًا رويدًا ، وصوت (رمزى) يملأ كيانه كله ، قائلاً :

ـ الآن لم تعد ترتبط بالواقع من حولك .. إنك تنطلق عائدًا إلى الأرض ، بعد رحلة ناجحة إلى المريخ ، وأمامك

(*) التنويم المغنطيسى - حالة شبيهة بالنوم الطبيعى ، يمكن احداثها بالتحديد فى نقطة لامعة ، مع تنفس بطىء ، وترديد كلمات أو إيحاءات معينة ، وهو يستخدم عادة فى العلاج النفسى ، عن طريق استرجاع الذكريات المكبوتة .

(* *) راجع قصة (شيطان الأجيال) .. المغامرة رقم (٥٦) .

الخرائط الملاحية تراجعها جيدًا .. هل تراها فى وضوح ؟!

ظلّ القبطان على صمته لحظة ، ثم أجاب :

- ليس تمامًا .

وهمس (أكرم) فى عصبية :

- الفكرة لم تنجح .

أشار إليه (رمزى) بالصمت ثانية فى حدة ، فانعقد حاجباه ، ومط شفتيه ، وهزّ كتفيه ، وكأنما يبدى اعتراضه على ما يحدث ، أو عدم ثقته بنتائجه ، فى حين قال (رمزى) للقبطان ، فى صوت عميق للغاية :

- ما الذى يعوقك عن الرؤية فى وضوح ؟

أجابه القبطان فى بطء :

- ضباب .. ضباب.. يملأ الفراغ ، بينى وبين الخرائط الملاحية .

قال (رمزى) :

- هذا لأنك تتشبّث بالواقع .. اتركه يا رجل .. لا تخف .. ستعود إليه وقتما تشاء .. اتركه .

تقلّصت عضلات وجه القبطان ، وبدا وكأنه يعانى

صراعًا عنيفًا فى أعماقه ، فكرّر (رمزى) فى حزم :

- اتركه .. الآن .

تقلّصت عضلات وجه القبطان مرة أخرى ، ثم استرخت فجأة ، وارتسم على وجهه الارتياح ، فتنهّد (رمزى) ، قبل أن يسأله :

- هل زال الضباب الآن ؟

أجابه القبطان :

- نعم .. أصبحت الرؤية واضحة .. هاهى ذى الخرائط أمامى .

بدا التوتر والترقب على وجه (نور) ، و(رمزى) يقول :

- عظيم .. انهض الآن ، واقترب من النافذة .

نهض القبطان من مقعده فى آلية ، وصار مغمض العينين فى الحجرة ، فغمغم (أكرم) معترضًا :

- وكيف سيعرف موضع النافذة ، وهو مغلق العينين ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

- اصمت .

عاد يعقد حاجبيه غاضبًا ، فى حين اتجه القبطان نحو النافذة مباشرة ، وكأنما يرى طريقه فى وضوح ، من خلف جفنيه ، فارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة حقيقية ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، و(رمزى) يقول للقبطان :

- والآن افتح عينيك ، وانظر عبر النافذة ، وقل لى ماذا ترى ؟!

انحنى القبطان يتطلّع عبر النافذة ، وقال فى هدوء :

- أرى شخصًا آليًا .

لم يكن هذا أبدًا بالجواب ، الذى يمكن أن يتوقّعه أى من الحاضرين ، لذا فقد اتسعت عيونهم جميعًا فى دهشة بالغة ، وغمغم (نور) :

- شخص آلى ؟! .. أى جواب هذا ؟!

نطقها ، وهو يندفع بالفعل نحو النافذة ، ويزيح القبطان عنها فى حزم ، ثم يتطلّع عبرها ، ويهتف بدهشة أكبر :

- رباه ! .. هذا صحيح .

كان هذا هو الشخص الآلى المحدود ، الذى أرسله رجال الأبحاث ، بطريقة الانتقال الآنى ، والذى بلغ موضعه فى نفس اللحظة ، التى تطلّع فيها القبطان عبر النافذة ، ولم يكد (نور) يقرأ الكلمات المكتوبة عليه ، حتى قال فى انفعال :

- رباه ! .. إنه واحد من الأشخاص الآلية المحدودة ، التى تستخدم فى معاملنا .. لقد أرسلوه إلينا برسالة ما .. لست أدرى كيف فعلوا هذا ، ولكنهم أرسلوه .

اندفع الجميع نحو النافذة ، يحاولون التطلّع إلى الآلى بدورهم ، وسأل (أكرم) فى لهفة شديدة :

- وهل يمكنه أن يحمل رسالة منا إليهم ؟

أجابه (نور) فى حماس :

- بالطبع ، سنعمل على إدخاله إلى المكوك أولاً ، ونشاهد الرسالة التى يحملها ، ثم نرسله إليهم بإشارة استغاثة ، أو نستخدمه كوسيلة اتصال مباشرة ، لو أنهم زوّدوه بالأدوات اللازمة لهذا .

هتفت (سلوى) فى فرح :

- أراهنك على أنهم فعلوها .. أنا أعرف كيف يفكر الدكتور (ناظم) وفريقه .



كان هذا هو الشخص الآلى المحدود ، الذى أرسله رجال الأبحاث ، بطريقة الانتقال الآنى ..

سأله (أكرم) ثانية :

ـ وكيف ندخل هذا الشىء إلى هنا ؟

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ إنه يتشبَّث الآن بجدار المكوك ، بوساطة أجهزة ماصة خاصة ، وربما يمكننا إرسال إشارة خاصة له ، أو ...

قاطعته (سلوى) فى توتر :

ـ أخشى أن هذا مستحيل .

التفت إليها فى قلق ، فتابعت :

ـ كل الاتصالات والإشارات هنا ، تعمل بوساطة الكمبيوتر ، ولا يمكن تنشيطها أو إطلاقها بعد تحطمه وتوقُّفه عن العمل .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يقول فى حنق :

ـ مشاكل التكنولوجيا اللعينة مرة أخرى .

أما (نور) فقال فى توتر :

ـ إذن فالوسيلة الوحيدة للحصول على الرسالة ، التى يحملها ذلك الآلى ، واستخدام إمكانياته للاتصال بالأرض ، هى الوصول إليه مباشرة .

هتفت (نشوى) مرتجفة :

- هل تعنى الخروج من المكوك مرة أخرى ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فهتفت (سلوى) :

- لا .. لن تتكرّر هذه الكارثة البشعة ثانية .

أجابها (نور) فى حزم صارم :

- لا يوجد حل بديل .. إما المخاطرة بشخص واحد ، فى مغامرة محدودة ، يمكن تفادى خطورتها بوسيلة ما ، أو الحكم على الجميع بالإعدام ، أو بالضياع فى الفضاء إلى الأبد .

ثم التفت إلى (رمزى) ، مستطردًا بلهجته القيادية الآمرة :

- أيقظ القبطان .

تطلّع إليه (رمزى) لحظة فى صمت ، ثم استدار إلى القبطان ، ومال نحوه قائلاً بنفس الصوت العميق :

- انتهت الرحلة أيها القبطان .. عد إلى عالم الواقع .. عندما أفرقع سبّابتى وإبهامى ستستيقظ ، وتعود فورًا إلى عالمك الحقيقى ، دون أن تترك شيئًا خلفك .

قالها ، وفرقع سبّابته وإبهامه ، فانتفض جسد القبطان انتفاضة محدودة ، فتح بعدها عينيه ، وتطلّع إلى الجميع فى شىء من الذهول ، ولكن (نور) أعاده بسرعة إلى أرض الواقع ، وهو يسأله :

- أمازالت لديكم هنا معدات تصلح للخروج إلى الفضاء ؟

بدت الدهشة على وجه القبطان ، وهو يقول :

- لكم شخص ؟

أجابه فى حزم :

- شخص واحد .

أومأ القبطان برأسه إيجابًا ، وإن لم تفارق الحيرة وجهه وعينيه ، وهو يقول :

- نعم .. لدينا زىّ فضائىّ واحد ، يعمل بالوسائل الحديثة .

سأله (نور) فى اهتمام :

- أتعنى أنه مزوّد بخزانات هواء مضغوطة وآلات دفع ، وغيرها ؟

أجابه القبطان :

- بالتأكيد ، ولكن لماذا تحتاجون إليه ؟!
قال (أكرم) فى عصبية :
- ماذا دهاك يا رجل ؟! .. إننا نحتاج إليه لانتشال ذلك الآلى ، الذى رأيته بنفسك يتشبث بالجدار الخارجى للمكوك .
اتسعت عينا القبطان فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :
- رجل آلى ؟! .. جدار المكوك ؟! .. وأنا رأيته ؟!
قالها ، واستدار يتطلع فى دهشة عبر النافذة ، فى حين قال (أكرم) فى حدة :
- أهذه مزحة ، أم أنك تسخر منا يا رجل ؟!
أجابه (رمزى) :
- لا هذا ولا ذاك يا (أكرم) .. الرجل لن يذكر شيئًا مما رآه أو سمعه ، تحت تأثير التنويم المغنطيسى(*) .
انعقد حاجبا (أكرم) أكثر ، وهو يقول :
- عجبًا ! .. إذن فأنتم تخضعونه للتنويم المغنطيسى ليتذكر أمورًا لم يكن ليتذكرها فى الظروف العادية ،

(*) حقيقة علمية .

ثم توقظونه لينسى كل ما تذكره ! .. أى علم هذا ؟!؟
بدا الضيق على وجه (مشيرة) ، وأشاحت عنه ببصرها، فهتف محتدًا :
- أعلم ما الذى تريدين قوله .
التفتت إليه غاضبة ، وهمّت بالانفجار فى وجهه ، لولا أن هتف القبطان فى انفعال ، مشيرًا إلى الآلى :
- هل تريدون الخروج من المكوك ، لإحضار هذا ؟!
أجابه (نور) فى حزم :
- نعم ، فهذا الآلى أصبح وسيلة الاتصال الوحيدة ، بيننا وبين الأرض .
تطلع القبطان مرة أخرى إلى الآلى ، وهز رأسه فى حيرة ، وهو يقول :
- حسن .. سنحضر الزى ، ولنر من سيقبل الخروج لأداء هذه المهمة ، و ..
قاطعه صوتان انطلقا فى آن واحد بكلمة واحدة :
- أنا .
التفت الجميع إلى (نور) و(أكرم) ، اللذين التفتا لبعضهما بدوريهما ، وأكرم يقول فى توتر :

- لا تناقشنى هذه المرة يا (نور) .. أنت تعلم أننى اجتزت اختبارات السباحة الفضائية بنجاح ، عندما التحقت بالمخابرات العلمية ، ولا يمكنك أن تدّعى أننى غير قادر على أداء المهمة .

أجابه (نور) فى حزم :

لا يمكننى أن أقول هذا ، ولكنك لم تتعاف بعد من مضاعفات ما أصابك ، و ...

قاطعه (أكرم) فى انفعال :

- لا تحاول يا (نور) .. أنا أصرّ .

هتف (نور) فى صراحة :

- وأنا القائد .

وقبل أن يجيب (أكرم) ، حدث فجأة ما اضطرهما إلى بتر مناقشتهما الحادة فورًا ..

لقد انطلق أزيز جهاز إنذار خاص ..

أزيز يشير إلى أن أحدهم قد اقتحم حجرة الصغير ..

وعلى الفور ، نقلت شاشة الرصد الداخلية صورة ذلك المقتحم ..

كان رئيس فريق الأمن ، الذى صوّب مسدسه الليزرى

إلى الصغير ، وهو يهتف فى انفعال جارف :

- أعلم أنكم تروننى وتسمعوننى أيها السادة ، ولن أجرح مشاعركم الرقيقة بهذا المشهد البشع .. هيا .. قولوا وداعًا للشيطان الصغير .

قالها ، وقطع أسلاك الاتصالات والمراقبة بحركة حادة ، فأظلمت شاشة الرصد تمامًا ، وصرخت (نشوى) :

- لا .. ابنى .. ابنى .

وفى نفس اللحظة ، التى انهارت فيها أرضًا ، كان الجميع يهرعون بأقصى سرعتهم وقوّتهم إلى حجرة الصغير ، فى محاولة لإنقاذه ..

محاولة محدودة ..

ويائسة ..

* * *

قطع رئيس الأمن أسلاك الاتصالات والمراقبة ، وانعقد حاجباه فى مقت رهيب ، وهو يصوّب مسدسه إلى الصغير ، قائلاً :

- الآن لم يعد هناك ما يحول بينى وبينك أيها الشيطان الرضيع .

قالها وأطلّ غضب الدنيا كلها فى عينيه ، وهو يستعد لإطلاق أشعته ، و ...

وفجأة ، انطلق ذلك الفحيح ..

ومع انطلاقه ، انتفض القبطان أعنف انتفاضة ، فى حياته كلها ..

هذا لأن الفحيح لم ينطلق من حيث يرقد الصغير ..

لقد انطلق من كل مكان بالحجرة تقريبًا ..

وبالذات من خلفه ..

وبسرعة صنعها الخوف ، التفت رئيس الأمن إلى تلك البقعة من خلفه ، وأطلق أشعته نحوها ، صارخًا :

ـ لا .. مستحيل !

أصابت أشعته جدار الحجرة ، مرورًا بالفراغ ، واخترقته بصوت عجيب ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها الفحيح من ركن الحجرة ، فاستدار إليه الرجل ، وأطلق نحوه خيطًا آخر من الأشعة ، أصاب الجدار كسابقه ، مع انطلاق فحيح ثالث ، ورابع ، و ...

وأدار الرجل عينيه وفوهة مسدسه ، فى انفعال شديد ، نحو الصغير .

وصرخ بكل ما يشتعل فى أعماقه :

ـ إنه أنت .. قدراتك الشيطانية تعبث بى ثانية .. أنت الـ ...

وانقطعت عبارته بغتة ، وغصّ حلقه ببقيتها ، وهو يحدّق فى الصغير فى ذهول ..

لقد تغيّر بغتة على نحو مدهش ..

إنه لم يعد ذلك الطفل الأخضر المخيف ..

لقد صار طفلا عاديًا ، وردى البشرة ، استغرق فى نوم هادئ عميق ، وكأنما لا يشعر بأى شىء مما يدور حوله ..

وفى ذهول ، هتف القبطان :

ولكن كيف ؟! .. هذا مستحيل ! .. مسـ ...

قاطعه مرة أخرى ذلك الفحيح الرهيب ..

وفى هذه المرة كان ينطلق على قيد نصف المتر منه فحسب ..

وعلى نحو شديد الوضوح ..

وفى سرعة مدهشة ، وذعر لا حدود له ، استدار رئيس الأمن نحو مصدر الصوت ، ثم اتسعت عيناه فى رعب ذاهل ، وارتدّ كمن أصابته صاعقة ، وهو يصرخ :

- لا .. لا .. أنت لست حقيقيًا .. لست حقيقيًا .

وفى هذه المرة انطلق الفحيح كما لم ينطلق من قبل ، وامتزج بصرخة رهيبة ، حملت كل رعب وآلام وعذاب البشرية ..

صرخة رجل يلقى مصرعه ..

وبمنتهى القسوة ..

★ ★ ★

اخترقت الصرخة أذن (سلوى) كالرصاصة ، وهى تعدو مع زوجها و (أكرم) و(رمزى) والقبطان ، نحو حجرة الصغير ، فوثب قلبها من مكانه ، وارتجف كيانها كله ، وهى تهتف :

- لا .. ليس ثانية .

أما (نور) ، فقد فجَّرت الصرخة فى أعماقه طاقة هائلة ، جعلته يثب وثبة واحدة ، عبر كل المسافة ، التى تفصله عن الحجرة المغلقة ، ودفع رتاجها بكل قوته ، وهو يصرخ :

- قاوم يا رجل .. لقد وصلنا إليك .

جاوبه صمت مطبق ، أثار فى جسده قشعريرة باردة ،

والرتاج يأبى أن يستجيب له فى عناد ، فاستلّ (أكرم) مسدسه ، وأزاحه جانبًا ، وهو يقول :

- دع القوى تؤدّى دورها .

قالها ، وأطلق رصاصتين من مسدسه على الرتاج ، فدوى صوتهما كقنبلتين ، فى الممر المغلق ، قبل أن يدفع الباب بقدمه فى عنف ، ثم يثب داخل الحجرة ..

ودون تردُّد ، اندفع (نور) و(رمزى) خلفه ، وهتف الأخير ، وهو يحدّق فى جثة رئيس الأمن :

- رباه ! .. يا للبشاعة !!

كان الرجل يتدلّى من حامل التغذية الخاص بالصغير ، وقد انغرس القائم المعدنى العلوى للحامل فى مؤخرة عنقه ، واخترق العنق كله ، ليبرز من موضع حنجرته ..

أما وجهه ، فلم يعد فى موضعه ..

أو بمعنى آخر : لم يعد له وجه على الإطلاق ..

لم تلتهمه تلك المادة الخضراء الرهيبة ، كما حدث مع الآخرين ..

بل انسلخ ..

سلخ شىء ما بشرة الوجه ، وانتزعها من فوق

العضلات والمشدات والأوتار ، وترك بدلا منها أبشع مشهد فى الدنيا ..

ترك وجهًا بلا ملامح ..

فقط كتلة من العضلات الغارقة فى الدم ، حاملة تكوينًا بشريًا فحسب ..

وأسرعت (سلوى) تحاول دخول الحجرة ، للاطمئنان على الصغير ، ولكن (أكرم) منعها فى غلظة ، وهو يقول :

ـ كلاَّ .. غير مصرَّح لك بالدخول إلى هنا .

سألته فى ذعر :

ـ هل أصاب الصغير مكروه ؟!

ألقى نظرة سريعة على الطفل ، الذى يرقد على مهده هادئًا نائمًا ، بوجهه البرىء ، وبشرته الخضراء الداكنة ، قبل أن يجيب :

ـ كلاَّ .. الصغير بخير ، ولكن الدخول غير مسموح به للنساء .

قالها ، ودفعها خارجًا ، وهو يضيف فى حزم :

ـ عودى لرعاية ابنتك .. هذا أفضل .

تراجعت فى شىء من القلق والخوف ، ثم انطلقت تعدو عائدة إلى حيث سقطت (تشوى) ، فى حين حدَّق القبطان فى جثة رئيس الأمن بمشهدها البشع ، قبل أن يقول فى لهجة رجل يوشك على الانهيار :

ـ رباه ! .. أى شىء ذلك الذى فعل به هذا ؟!

غمغم (أكرم) ، وهو يلقى نظرة حذرة على الصغير :

ـ لم يكن بالحجرة سواه ، هو والطفل .

قال (نور) فى صرامة :

ـ لقد انقطع الاتصال لدقيقة كاملة ، قبل أن تصل إلى هنا ، ولا أحد يدرى ما الذى حدث خلالها ، فلا تتسرَّع باستنتاج خطير ، يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده عواقبه !

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ فليكن .. ألديك تفسير آخر !

صمت (نور) تمامًا ، وهو يحدِّق فى الطفل فى توتر بالغ ، قبل أن يغمغم :

ـ ليس فى الوقت الحالى .

هتف القبطان فى حدة :

- ولا فيما بعد .. ذلك المسكين المعلق أمامكما كان على حق .. ذلك الطفل هو المسئول عن كل ما يحدث .. إنه الكارثة ، التى أصابت المكوك .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف فى صرامة :

- ولابد من القضاء عليه ، قبل أن يقضى علينا جميعًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت آخر رجل أمن فى المكوك من خلفهما ، وهو يقول فى عصبية :

- مرنى فحسب أيها القبطان ، وسأؤدى المهمة دون تردُّد .

قالها الرجل ، وهو يصوّب مسدسه إليهم فى انفعال ، فقال له (أكرم) فى حدة :

حذار يا رجل .. لو مسست شعرة واحدة من هذا الصغير ، لن تجد ما يكفى من الوقت للندم ، فى هذه الحياة على الأقل .

أجابه الرجل فى حدة :

- وما الفارق !! . هل ستقتلنى لو حاولت ؟! .. افعل إذن ، وبأقصى سرعة ممكنة ، فربما كان هذا أكثر

رحمة .. إننى ميت بالفعل يا رجل .. كلنا ميتون لو شئت الدقة ، مادام هذا الصغير حيًا .. رئيسى حذّركم من قبل ، ولكنكم أبيتم أن تستمعوا إليه ، فدفع حياته ثمنًا لعدم إصراره على تنفيذ ما يؤمن به .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- ولن أكرّر هذا الخطأ قط .

وصوّب مسدسه إلى الصغير بغتة ، صارخًا :

- سأقتله الآن .

انقضّ (رمزى) عليه كالليث ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها زناد مسدسه الليزرى ، وأمسك معصمه ، وهو يدفعه أمامه ، صائحًا :

- لن تقتل ابنى بهذه البساطة .

انطلق شعاع الليزر من المسدس ، واخترق صدر (رمزى) ، وعبر إبطه ، ثم تجاوزه إلى ذراعه ، فى نفس اللحظة التى سقط فيها الاثنان أرضًا ، والرجل يصرخ :

- بل سأقتله .. سأقتله .. هذا هو أملنا الوحيد فى النجاة !

سقط (رمزى) إلى جوار الرجل ، وهو يتأوّه ألمًا ، ولكنه لم يتخلّ عن معصمه ، فانطلق خيط آخر من الأشعة ، أصاب سقف الحجرة هذه المرة ، فوثب (نور) نحو رجل الأمن ، وركل المسدس من يده ، هاتفًا :

- ألن تنتهى هذه السخافات أبدًا ؟!

وانقضّ (أكرم) على الرجل ، يكبّله بذراعيه فى قوة ، وهو يقول فى صرامة :

- اهدأ يا رجل .. اهدأ .

ولكن رجل الأمن قاومه فى استماتة ، وهو يصرخ :

- إنكم لا تبالون بنا .. عشرة رجال لقوا مصرعهم حتى الآن ، والبقية آتية ، وكل ما تفعلونه هو محاولة حماية الصغير .. وماذا عن حمايتنا نحن ؟!

هتف به (أكرم) فى صرامة :

كفّ عن هذا الهراء يا رجل .. إنك تـ ...

قاطعه صوت صارم حازم يقول :

- الرجل على حق .

استدار الجميع إلى مصدر الصوت ، وهتف (أكرم) فى دهشة مستنكرة :

- حتى أنت يا قبطان ؟!

أجابه القبطان فى حدة :

- إنها مسئوليتى ، أم أنكم نسيتم أنه ، ومهما كانت الأسباب ، فأنا قبطان المكوك ، وصاحب الكلمة العليا والأخيرة .. الرجل على حق تمامًا .. إنكم لا تتعاملون مع هذا الأمر من منظور عادل ، بل تسعون فقط لحماية الصغير ، حتى ولو كان المسئول الأوّل عن كل ما حدث وما سيحدث .

قال (نور) فى حزم :

- خطأ أيها القبطان ، لقد أخبرتك من قبل أننى مستعد لقتل الصغير بنفسى ، ودون أدنى تردُّد ، لو ثبت أنه المسئول عما حدث .

صاح به القبطان :

- وأية إثباتات تنشدها ، بعد كل ما حدث .. حوادث القتل كلها بدأت بعد مولده ، وارتبطت بتلك الدماء الخضراء اللعينة ، التى تسرى فى عروقه ، وهناك آثار أقدامه على الأرض أيضًا .. هل نسيتها ؟

أجابه (نور) فى حزم :

- كلاً .. لم أنس شيئًا ، ولكننى أبحث عن تفسير منطقى لكل خطوة ، قبل أن أصل إلى الاستنتاج النهائى .. قل لى أنت : حتى لو افترضنا أن طفلا فى يومه الثانى ،

يمكنه أن يمشى بنفس الثبات والاتزان اللذين يسير بهما الكبار ، دون خبرة سابقة ، فكيف يمكنه تعليق رجل أمن قوى من قدمه فى سقف حجرة ، على ارتفاع ثلاثة أمتار ، أى ما يزيد على ستة أضعاف طوله ؟ وكيف حمل جثة رئيس الأمن ، وعلقها فى جهاز التغذية ، على هذا النحو العجيب ؟! ..

ارتبك القبطان ، وهو يقول :

ـ لابد من وجود تفسير منطقى .

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ وحتى نعثر عليه ، لن يمسّ أى مخلوق هذا الصغير .

صاح به رجل الأمن ، وهو يواصل مقاومته لـ (أكرم) :

ـ حتى لو عثرت على التفسير المنطقى ، لن يمكنك أن تتخلّص منه قط .. إنه حفيدك .

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يجيب :

أعطنى التفسير أوّلاً ، وسترى ما الذى ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، انطلق ذلك الأزيز القوى ، فى المكوك كله .

أزيز أعاد إلى الجميع كل التوتر ..

وكل الخوف .

★ ★ ★

١٣ ـ الفضـاء ..

« إنه الرجل الآلى .. » .

قالتها (سلوى) فى شئ من التوتر ، وهى تتطلّع عبر النافذة إلى الشخص الآلى المحدود ، المتشبث بالجدار الخارجى للمكوك ، والذى راح يرتجّ فى بطء ، مع ذلك الأزيز المستمر ، الذى يتردّد عبر المكان كله ، فسألها (أكرم) فى عصبية :

ـ وكيف أمكنه إطلاق هذه الذبذبة داخل المكوك ، وهو معلّق بجداره الخارجى ؟!

أجابته بسرعة :

ـ إنه مجهّز بحيث يمكنه غرس مجسّ صغير عبر الجدار ، وإطلاق تلك الذبذبة ، كمحاولة لتنبيه الموجودين داخل المكوك إلى أنه هنا ، أو إيقاظهم ، لو أنهم وقعوا فى غيبوبة مثلا .

سألتها (مشيرة) فى لهفة :

ـ ألا يمكنه إطلاق رسالة إلينا بالوسيلة نفسها ؟!

هزّت رأسها ، قائلة :

- كلاً .. لا يمكنه بث كلمات واضحة أو صور هولوجرافية بهذه الوسيلة .

سألها (نور) فى اهتمام :

- وماذا لو حاولنا نحن توصيل رسائلنا إليه ؟

مطّت شفتيها فى أسى ، وهى تقول :

- هذا مستحيل بدون الكمبيوتر للأسف .

هتف (أكرم) فى حنق :

- ألا يمكنكم عمل أى شىء بدون التكنولوجيا .

أجابته (سلوى) فى حزم :

- ليس فى هذا العصر .

أجابها فى سخط :

- للأسف .

احتقن وجه (مشيرة) ، وهى تقول فى عصبية :

- أتشعر بالسعادة ، وأنت تعلن دائمًا بغضك للتكنولوجيا والتقدُّم ؟

- أجاب فى حدّة :

- لست أرفض التكنولوجيا بالطبع ، فالأحمق وحده من يرفض أمرًا واقعًا .. إننى فقط أرفض الركون التام إليها .. لابد أن نحافظ على طاقاتنا ومهاراتنا البشرية

دومًا ، مهما ساعدتنا التكنولوجيا على التكاسل والاسترخاء ، فلا أحد يدرى ما الذى يمكن أن يحدث فى الغد .. ربما تعرّض العالم كله لمحنة كهذه التى نواجهها ، وفقد وسائل الراحة والتكنولوجيا لسبب أو لآخر ، فما الذى سيفعله عندئذ ، لو لم تكن هناك مهارات بشرية كافية ، قادرة على التعايش مع الظروف الجديدة ؟!

بدا الارتباك على وجه (مشيرة) ، ممتزجًا بشىء من الخجل ، فى حين قال (نور) :

- إننى أتفق معك تمامًا يا (أكرم) ، والأمر ليس بحاجة إلى افتراض وهمى ، فقد تعرّض العالم لهذا الموقف بالفعل ، بعد انتهاء فترة الاحتلال ، مع تأثير قنبلة (جاما) ، ولولا مهاراتك البشرية لما ظللت حيًا حتى الآن(*) .

قال (أكرم) بسرعة :

- ولما التقيت بـ (مشيرة) .

ثم تطلّع لحظة فى صمت ، قبل أن يضيف فى خفوت :

(*) راجع قصة (رمز القوة) ... المغامرة رقم (٨١) .

- وأحببتها .

إرتجف جسد (مشيرة) ، وارتعدت شفتاها فى تأثر ، والتمعت عيناها بدمع مباغت ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ، فى حين ران صمت رهيب على المكان ، استمرّ لنصف دقيقة تقريبًا ، قبل أن يقطعه (نور) ، وهو يقول فى حزم :

- حسن .. دعونا نعد إلى مشكلتنا الرئيسية .

التفت اليه (أكرم) ، قائلاً :

- الصغير ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- كلاّ .. بل الرسالة التى يحملها ذلك الآلى .. الصغير الآن فى حماية والده ، أو تحت حراسته ، أيهما أكثر دقة ، ونحن نراقب كل همسة تحدث فى حجرته ، ولكن علينا إجراء الاتصال بذلك الآلى المحدود على الفور ، قبل أن تتردى الأمور أكثر ؛ فمن المؤكد أنهم يراقبوننا ويرصدون مسارنا الآن على الأرض ، وإجراء الاتصال بهم سيرشدنا إلى الكثير .

ثم التفت إلى القبطان ، مستطردًا :

- أين الزى الفضائى ؟

أجابه القبطان :

- سآمر أحد رجالى بإعداده لك فورًا .

قال (أكرم) فى صرامة :

- أنا الذى سيخرج إلى الفضاء أيها القبطان .

استدار إليه (نور) ، وقال فى هدوء :

- كلاً يا (أكرم) .. أنا الذى سيخرج لإحضار ذلك الآلى .

هتف (أكرم) :

- (نور) .. إننى ..

قاطعه (نور) فى سرعة وحسم ، وكأنه يتمّ عبارته :

- لأننى أحتاج إليك هنا ، فى مهمة أكثر خطورة .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يكرّر فى مزيج من القلق والحذر :

- مهمة أكثر خطورة ؟!

واجهه (نور) ، قائلاً :

- نعم يا (أكرم) .. أريد أن تتولّى مسئولية حماية الطفل .

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) ، وهو يقول فى حذر أكثر :

- حمايته ؟! .. (نور) .. أهى محاولة لـ ...

قاطعه (نور) فى حزم وكأنه لم يسمعه :

- فأنت الشخص الوحيد ، الذى أثق به ثقة مطلقة لحماية (محمود) الصغير .

انتفضت (مشيرة) عند سماعها الاسم ، فى حين ردد (أكرم) فى انفعال :

- (محمـــود) ؟! .. هل أطلقتـــم عليـــه اسم (محمود) ؟!

أجابته (سلوى) ، ودموعها تنحدر على وجنتيها :

- (نشوى) و(رمزى) أصرّا على هذا ، إحياءً لذكرى رفيقنا الراحل(*) .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى تأثر ، وهو يقول :

- خيرًا فعلا .. خيراً فعلا ..

ثم شد على يد (نور) مضيفًا فى حزم :

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

- هيا .. اخرج إلى مهمتك على بركة الله يا صديقى ، واطمئن .. لن يمس أى مخلوق الصغير بسوء ، وأنا على قيد الحياة .. هذا وعد .

شدّ (نور) على يده فى حرارة ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- هذا ما أتوقعه من صديق مخلص مثلك .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يلتفت إلى القبطان ، مستطردًا فى حزم :

- والآن مر رجالك بإعداد الزى الفضائى ، والاستعداد لعملية خروج من المكوك ، وانتشال الآلى .

نطقها فى حسم واضح ، وهو يستعد لخوض مخاطرة جديدة من مخاطر تلك الرحلة التى تبدو وكأنها لن تنتهى ..

أبدًا ..

★ ★ ★

مال (رمزى) يتطلّع إلى الصغير فى اهتمام شديد ، وهو مستغرق فى النوم العميق ، وغمغم :

- تُرى أى سر تخفى خلفك يا صغيرى ؟! .. ما سر بشرتك الخضراء ، وتلك المادة التى تجرى فى عروقك



ثم مدّ يده يتحسّس بشرة الصغير فى حذر ، ففتح عينيه فى تكاسل ، وتثاءب ..

مجرى الدم ؟! .. أهو تغير فسيولوجى ؛ بسبب نموك فى رحم أمك ، فى أثناء وجودنا على المريخ ، أم أنه تحوّر غير طبيعى ، أصابك بسبب ذلك الوحش هناك ؟! ..

ثم مدّ يده يتحسّس بشرة الصغير فى حذر ، ففتح عينيه فى تكاسل ، وتثاءب ، كما يفعل كل الأطفال ، وبدت عيناه ثابتتين حائرتين ، فتابع (رمزى) ، وقد تسلّل إلى صوته شىء من الحنان :

- لماذا يحدث لك هذا ؟ .. بل لماذا يحدث لأمك ، ولنا جميعًا ؟! .. ترى هل تعلم أنها مستغرقة فى النوم الآن ؛ لأننى حقنتها بعقار مهدّئ ، بعد أن أصابها الانهيار من خوفها عليك ؟! .. إنها لن تستجيب لبكائك بالطبع ، ولكننا نمدك بالغذاء الكافى .. أليس كذلك ؟

أتاه صوت من خلفه ، يقول :

- ولكن ابنك لا يبكى قط .

التفت (رمزى) إلى مصدر الصوت ، وقال :

- (أكرم) ؟! .. لقد أفزعتنى بحق .

دلف (أكرم) إلى الحجرة ، وهو يقول :

- معذرة .. لم أقصد هذا ، ولكن حديثك أثار انتباهى

إلى أننى لم أسمع طفلك يبكى أبدًا .. قل لى : أهذا أمر طبيعى فى دنيا المواليد ؟

بدت الحيرة على وجه (رمزى) ، وهو يغمغم :

- كلاً بالطبع .

- ثم عاد يتطلع إلى الصغير ، مستطردًا فى قلق :

- حقًا .. لماذا لا يبكى أبدًا ؟!

اتخذ (أكرم) مقعدًا ، وهو يقول :

- هل تعلم يا (رمزى) ؟! .. ليس لدى أدنى شك فى أن لطفلك يدًا فيما يحدث ، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

قالها ، وهو يتوقع رفضًا أو استنكارًا من (رمزى) ، ولكنه فوجئ به يجيب فى حزن واضح :

- بالتأكيد .

ثم رفع عينيه إليه ، مستطردًا فى أسى :

- ولكن هذا لا يعنى أنه مسئول عما يحدث .

بدت الدهشة على وجه (أكرم) ، وهو يقول :

- كيف يكون له يد فيما يحدث ، دون أن يكون مسئولاً عنه ؟!

هزّ (رمزى) كتفيه ، وهو يجيب :

- تمامًا مثل حامل العدوى .. إنه لا يدرك أنه يحمل الميكروبات فى جسده ، ولكنه يتسبب فى نقل المرض ، دون أن يكون مسئولاً عن ذلك على نحو مباشر .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

- هل تعنى أن ما يحدث هنا نوع من العدوى ؟!

صمت (رمزى) بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- لقد تحوّل دم الطبيب إلى تلك المادة الخضراء ، وظهرت عليه أعراض عجيبة ، قبل أن يلقى مصرعه ، وربما يعنى هذا وجود نوع من العدوى .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يحاول استيعاب هذا المنطق ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى شدة ، قائلاً :

- كلاً .. هذا ليس منطقيًا .. إن أحدًا بخلاف الطبيب لم يعان من أية أعراض قبل مصرعه .

قال (رمزى) :

- ربما كان المصاب بالعدوى شخصًا لم تظهر عليه أية أعراض ، ولكنه يفتك بالآخرين بلا رحمة ، وربما دون أن يدرى .

صمت (أكرم) بضع لحظات أخرى ، ثم قال فى توتر :

- هذا سيعنى أنه شخص مجهول ، يمكن أن يهاجمنا فى أية لحظة .

أجابه (رمزى) فى سرعة :

- أو أنه أحدنا .

اتسعت عينا (أكرم) لحظة فى ارتياح ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

ولكن فى أعماقه ، بدا له ذلك الاحتمال مخيفًا ..

بل مرعبًا ..

ولأقصى حد ..

★ ★ ★

ارتدى (نور) الزى الفضائى ، وراح يتأكد من أن كل جزء فيه يعمل بكفاءة تامة ، وأحد الملاحين يعاونه ، وهو يملى زميله ، قائلاً :

- أجهزة الدفع سليمة .. مضخات الهواء تعمل بكفاءة .. جهاز معادلة الضغط متوازن .. الحرارة مناسبة .

قالت (سلوى) فى توتر :

- من الأفضل أن تراجع كل شىء مرتين ، قبل أن يخرج زوجى وحده إلى الفضاء .

أجابها الرجل متنهدًا :

- إننا نراجعها للمرة الثالثة يا سيدتى ، فلقد كان الكمبيوتر هو الذى يتولى هذه المهمة فى المعتاد .

أجابته فى عصبية :

- وهذا ما يقلقنى .

منحها (نور) ابتسامة حانية مشجعة ، وهو يقول :

- لا تقلقى يا حبيبتى ، وقولى : لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

غمغمت وعيناها تترقرقان بالدمع :

- ونعم بالله (العلى القدير) ، ولكننى لا أستطيع مقاومة شعورى بالخوف .

ربت على كتفها ، قائلاً بنفس الابتسامة :

- اطمئنى .. كل شىء سيسير على ما يرام بإذن الله .

أمسكت يده فى قوة ، وكأنها تتشبث بوجوده إلى جوارها ، قائلة :

- (نور) .. أريد منك أن تعدنى بأمر ما ، قبل أن تخرج إلى الفضاء .

تحسس شعرها المسترسل فى حنان ، وهو يقول :

- بِمَ ؟!

انحدرت الدموع من عينيها ، مع همسها المتهدّج :

- عدنى بأن تبذل قصارى جهدك لتعود إلىّ سالمًا .

تطلع لحظة إلى عينيها الحزينتين ، الغارقتين فى نهر من الدموع ، قبل أن يقول :

- أعدك ياحبيبتى .. أعدك بشرط واحد .

ثم مال يطبع قبلة حانية على خدها ، مستطردًا :

- ألا تبكى أبدًا .

التقطت شفتاه دموعها ، ومسحتاها عن وجهها ، فرفعت عينيها إليه ، قائلة :

- أعدك يا (نور) .

ابتسم فى حب ، وطبع قبلة أخرى على خدها ، ثم التقط الخوذة ، قائلاً :

- وأنا أعدك كذلك .

تطلعت إليه فى لوعة ، وهو يرتدى خوذته ، ويلوّح

لها بيده ، قبل أن يدلف إلى حجرة معادلة الضغط ، وانتقل الملاحان إلى الحجرة الملحقة ، وبدأ العَدّ التنازلى لعملية الخروج إلى الفضاء :

- عشرة .. تسعة . ثمانية .. سبعة ..

ومع تواصل العد ، كان الضغط والحرارة ينخفضان تدريجيًا فى الحجرة ، حتى يتساويان مع الفضاء الخارجى ، ثم بدأ بابها المطل على الفضاء يُفتح تدريجيًا :

- أربعة .. ثلاثة .. اثنان .. واحد .. صفر .

وبدأ (نور) مهمته ..

انطلق يسبح خارج المكوك فى نعومة ، مع انعدام الضغط والجاذبية ، ثم استخدم جهاز الدفع الفضائى ، لتوجيه جسده إلى حيث ذلك الآلى ..

كانت مهمته دقيقة حقًا ، وتحتاج إلى كثير من المهارة ، فأية زيادة فى قوة الدفع تكفى ، لتلقى به بعيدًا عن المكوك ، ليضيع جسده فى الفضاء الخارجى ..

وإلى الأبد ..

وفى دقة ، راح يزحف تقريبًا على السطح الخارجى للمكوك ، متجهًا نحو ذلك الآلى ، الذى يقبع بالقرب من النافذة الكبيرة لحجرة القيادة ، التى وقفت (سلوى) خلفها ، بصحبة القبطان و(مشيرة) ، يراقبون رحلة (نور) ، الذى قال ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، المثبت فى خوذة الزى الفضائى :

- كل شىء على ما يرام .. أجهزة الزى تعمل كلها بكفاءة ، والآلى على بعد عشرة أمتار منى تقريبًا ، وأنا أتجه إليه فى خط مستقيم ، ملتصقًا بالجدار .

خفق قلب (سلوى) ، وهى تهمس فى انفعال :

- ساعده يا إلهى ! .. ساعده .

اقترب (نور) أكثر وأكثر من الآلى ، حتى صار قاب قوسين أو أدنى منه ، وقال :

- الآلى الآن فى متناول يدى ، سأدفعه أمامى حتى أعود إلى المدخل .

هتفت (سلوى) ، عبر جهاز الاتصال المحدود :

- اضغط الزر الأحمر فى أعلاه أوّلاً ، حتى يستعيد المجس .

ضغط (نور) الزر الأحمر ، وانتظر لحظة ، حتى سمع (سلوى) تقول :

- الآن يمكنك إعادته .

بدأ (نور) يدفع الآلى فى رفق ، فاستجاب له فى نعومة ، وراح ينزلق أمامه ، على الجدار الخارجى للمكوك ، متجهين نحو المدخل ..

وفجأة ، أضىء مصباح أحمر فى لوحة التحكم ، فهتفت (سلوى) فى هلع :

- ما هذا ؟

أجابها القبطان ، وقد تفجُرت فى أعماقه وصوته موجة عنيفة من التوتر :

- أحدهم يُغلق المدخل .

واختطف أحد أجهزة الاتصال الداخلى ، صارخًا :

- ماذا يحدث عندكم ؟! .. لماذا تغلقون المدخل ؟

أجابه أحد الملاحين ، اللذين يديران الموقف عند حجرة معادلة الضغط ، فى ذعر شديد :

- إننا لا نغلقه يا سيِّدى .. إنه يغلق نفسه بنفسه ، على الرغم من محاولاتنا المستميتة لمنعه من هذا .

صرخت (سلوى) :

- رباه ! .. (نور) .

ثم اختطفت جهاز الاتصال المحدود ، صائحة :

- عد يا (نور) .. عد بأقصى سرعة .. اترك ذلك الآلى وعد .

كان (نور) يدرك أن مهمته المحدودة لن تكون بسيطة ، بأى حال من الأحوال ، وأن ذلك الخصم المجهول ، الذى جلبته لعنة الدم الأخضر ، لن يسمح لهم بالحصول على وسيلة اتصال قط ، لذا فقد دفع الآلى أمامه ، وهو يزيد من قوة الدفع فى حذر ، فى محاولة لبلوغ المدخل وعبوره ، قبل أن يُغلق تمامًا ..

وكان سباقًا رهيبًا ..

(سلوى) تواصل صراخها ، مطالبة (نور) بالعودة ، والملاحان يقاتلان لمنع إغلاق المدخل ، والقبطان يبذل قصارى جهده ، لاستعادة التحكم

فى الموقف ، و(نور) يدفع الآلى أمامه ، و ..

وأخيرًا بلغ المدخل ..

بلغه وقد قطع بابه نصف المسافة إلى نهايته ، فدفع الآلى داخل حجرة معادلة الضغط ، وهو يقول عبر جهاز الاتصال الداخلى :

- الآلى فى الداخل الآن .. وأنا فى طريقى للدخول .

هتفت به (سلوى) :

- أسرع بالله عليك يا (نور) .. أسرع .

حاول (نور) أن يعبر المدخل خلف الآلى ، إلا أن الباب كان قد قطع شوطًا أطول ، وأصبحت المسافة المتبقية ضئيلة للغاية ، فحاول أن يدفع جسده عبرها ..

ولكن فجأة ، ارتطم جهاز الدفع الفضائى بالباب ..

كان الارتطام بسيطًا للغاية ، إلا أنه أشعل قوة الدفع بغتة ، فانطلق الجهاز يعمل بكل قوته .

وانطلق جسد (نور) مبتعدًا فى الفضاء ..

وبكل الذعر واللوعة والهلع فى أعماقها ، صرخت (سلوى) :

- لا يا (نور) .. لا .

واتسعت عيناها فى رعب لا مثيل لها ، وهى تحدّق فى جسد زوجها ، الذى راح يدور حول نفسه على نحو عشوائى ، وهو يبتعد عن المكوك ، ويبتعد .. ويبتعد ، ويغوص أكثر وأكثر فى أعماق الفضاء السرمدى السحيق ..

ثم كاد قلبها يتوقّف عندما اختفى جسده وسط الظلام الدامس ..

اختفى تمامًا .



انتهى الجزء الأوّل بحمد الله
ويليه الجزء الثانى
(مصيدة الفضاء)

رقم الإيداع ٣٢١٥

لعنة الدم

- ماسر تلك الأحداث الغامضة المخيفة ، فى قلب مكوك الفضاء المصرى؟!..
- أى خطر هذا ، الذى يسحق ركاب المكوك ، واحداً بعدالآخر؟!..
- تُرى هل ينتصر (نور) وفريقه هذه المرة ، أم تلتهمهم (لعنة الدم)؟!..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه من أجل صفحة جديدة من الملف .. (ملف المستقبل)..



العدد القادم : مصيدة الفضاء



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

107

الثمن فى مصر ٢٠٠ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم